الله

القصد المجرَّد في مَعرفةِ الاسمِ المفْرد

لابن عطاء الله السكندرى

تخريج وتعليق / محمود توفيق الحكيم

٢٠٠٢

مكتبة مدبولى

الله

القصد المجرّد في

مَعرفةِ الاسمِ المفرد

مكتبة مدبولى

العنوان : ٦ ميدان طلعت حرب – القاهرة
تليفون : ٥٧٥٦٤٢١ ـ **فاكس :** ٥٧٥٢٨٥٤
الكتاب : الله القصد المجرد
الكاتب : تخريج وتعليق / محمود توفيق الحكيم
رقم الإيداع : ١٤٦٩٦ / ٢٠٠١
الترقيم الدولى : 3 - 352 - 208 - 977
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى : ٢٠٠٢
غلاف الفنان : محمد لطفى

عربية للطباعة والنشر

العنوان : ٧ & ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفون : ٣٢٥٦٠٩٨ ـ ٣٢٥١٠٤٣ ـ فاكس : ٣٢٩١٤٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد :

فما أحوج الإنسان المسلم إلى مَنْ يأخذ بيده إلى طريق الهداية والعلم، بعد أن جرفته - في هذا الزمان - المادية الطاغية، الصماء العمياء، ونأت به بعيداً، فأصبح شارداً في متناول الذئب الشيطان.. والذئب لا يأكل من الغنم إلا الشاردة ...

ولكن الله - تبارك وتعالى - قيض العلماء، وهم ورثة

الأنبياء؛ ليأخذوا بيد الشاردة ويضموها إلى قافلة التوحيد مرة أخرى . .

ومن بين هؤلاء العالم الجليل، والعارف بالله: ابن عطاء الله السكندري، فكتب رسالة وإن كانت صغيرة في حجمها إلا أنها كبيرة في معناها، عظيمة في فحواها، قلما يجد القارئ نظيراً لها في المكتبة الإسلامية، وسماها: (**القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد**) وهو الله ـ عز وجل، ثم إنه قسمها إلى قسمين:

القسم الأول: في معرفة اشتقاق اسم الذات «الله» وأقسامه، وذكر تفصيل حروفه، وتعلق أقسامه، ومقتضى أحكامه . . . ومن بين ما حواه معنى كلمة الإخلاص التي هي كلمة التوحيد: «**لا إله إلا الله**» بأسلوب شيق يبعث فى القارئ شغف المتابعة، بما يقدمه من أدلة وبراهين من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ليخلص إلى أن كلمة: «**لا إله إلا الله**» هي الكلمة التي قامت بها السموات والأرض، وفطر الله عليها

جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة، ونصبت القبلة، وهي محض حق الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار، وهي البطاقة التي لا يدخل أحد الجنة إلا بها، والحبل المتين الذي لا يصل إلى الله من لم يتعلق بسببه، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد، ومقبول وطريد، وهي العمود الحامل للفرض والسنة، ومن كان آخر كلامه: **لا إله إلا الله** دخل الجنة.

ومن بين ما حواه أيضاً أسماء الله الحسنى، واسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

وأما القسم الثاني من رسالته: ففي معرفة فضل اسم الذات «**الله**»، وشرف قدره، وشرح معاني أسراره، واختصاص فوائده، وذكره تبارك وتعالى، ثم يبين فضائل الذكر وكيفيته وأقسامه ومقاماته، وأصناف الناس فيه.. فجاءت رسالته - بحق - شافية كافية نافذة إلى سويداء القلب.

نسأل الله - تبارك وتعالى - أن يجعلها في ميزان حسناته، وأن يجازي كل من ساهم في طبعها ونشرها وإظهارها إلى النور أحسن الجزاء، وأن يفيد بها المسلمين جميعاً، إنه سميع مجيب.

٩ ربيع آخر سنة ١٤٢٢هـ

٣٠ يونيه سنة ٢٠٠١م

محمود توفيق الحكيم

To: www.al-mostafa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي نوَّر قلوب أوليائه بأنوار هدايته. وصفى أسرارهم لتجلي صفة جلاله وجماله وكمال عظمته. وأخلصهم للعكوف على بساط أنسه بالقرب من حضرته. وخلصهم وخصصهم لمناجاته ومحادثته ومكالمته ومخاطبته. وأنبأهم وعرفهم بحقائق سر أسماء ربوبيته. فتجلى لهم بأسمائه وصفاته ففاضت عليهم بالإشراق أنوار شمس معرفته. وقبض عن نفوسهم كل تلوينها وأمد على قلوبهم ضياء تمكين خصوصيته. ففهمهم وألهمهم ونبههم لحسن آداب مجالسته. ثم كشف لهم عن جمال كمال بهاء وجهه الكريم فاستغرقهم من عنايته. وأظهر لهم من غرائب صنعه وإتقان فعله وبدائع حكمته. ما شهدوا به من عجائب ملكه

وملكوته وجبروته، فغابوا وفنوا به عنهم عند معاينته ومشاهدته. ثم ثبتهم وأبقاهم به وآنسهم بلطف رحمته وأدناهم بكرمه. وقربهم بلطفه، وعاملهم بفضله، وسقاهم من شراب محبته. وأودعهم أسراره ووهبهم ذخائره وجعل أس ذلك وأصله في معرفة اسم إلهيته وستر فيه سره عمن شاء فحجب أشكال صور معروفة وعدد جملته، فبداية فهمه في أول ألفه ونهاية علمه في معنى آخر هاء هويته فطوبى لمن رفعت له حجب ظُلَم معنى ظاهره عن نور معنى باطنه حتى جنى سر ثمرته. وانتشق طيب عبيره وذاق طعمه ولذيذ حلاوته. وعلم منه وشاهد به ما في الوجود من عوالم ظاهره ومعالم باطنه علويه وسفليه على كيفية ذاته وحقيقة ماهيته. وتم له تصرف في ملك مملكته بأمر «كن» في الوجود بوجود الأشياء على حسب مقتضى إرادته. فلله الحمد بكماله كما يبنغي ويجب لجلاله على ما أسبغ في الظاهر والباطن من تمام نعمته.

ونشهد لله بإخلاص توحيده وتحقيق وحدانيته: لا إله إلا هو الواحد في ذاته العظيم في صفاته والعزيز في فردانيته. ونشهد لنبيه ورسوله بكمال نبوته وعموم رسالته وتخصيص عبوديته. محمد صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وعترته. وذريته وأهل بيته، ورضي الله عن جميع أصحابه وتابعيهم أبداً بإحسان من أمته وأهل ملته.

وبعد:

فإن إكسير الزيادة. وكيمياء السعادة. وقاعدة كل قدم وحال ومقام. وأس أصول دعائم الإحسان والإيمان والإسلام. هو معرفة التوحيد المجرد عن إضافة التقييد. المحفوظ عن تصميم التقليد الموصوف بعلم الأسماء والصفات. والمتنزه عن حدوث طرق الآفات، الجامع لذكر معاني اسم الإلهية. المشتملة على جملة لطائف الأسرار المعنوية. والذخائر النفيسة المصونة. والجواهر الثمينة المكنونة. وهو أصل المعارف الدينية. ومحل العوارف اليقينية؛ لأن شرف العلوم

على قدر شرف المعلوم. وشرف العالم على قدر شرف علمه. ولا شيء أشرف من الحق وطلبه. ولا شيء أشرف في الدنيا من معرفة الله وقربه. ولا شيء أشرف في الجنة من النظر إلى وجهه. وكل علم موقوف على معلومه وشرفه بشرفه. وعلم التوحيد موقوف على معرفة الواحد وصفة وحدانيته. ومعرفة الله هي الغاية القصوى. واللباب الأصفى. ومشرب عذب لكل عبد وارد. ولا يصل للتنعم بشربها إلا واحد بعد واحد. وهي المطلوبة لذاتها وعين الزيادة. وبها تنال أعظم الأحوال واتم الإفادة. وإن بداية السالك طلب المعرفة. ونهاية غايته توحيد الذات والصفة. لأن معرفة الله غاية الغايات. وتوحيده أجل وأكمل النهايات. والعلم به يفيد ذات الذاكر بيانا وتحقيقا. والعمل بمقتضاه يزيد في صفات السائر برهانا وتوفيقا. ومن أخذ من العلوم والحكم أشرفها وأرفعها. من المعاني صفوها وألطفها وأنفعها. وفهم حكم باطنية أمرها. وعلم حكم علانيتها وسرها. فقد تجوهر باطن قلبه. وتمهد

ظاهر أدبه. وتسمى في الحقيقة إنسانا. وشاهد الحق حقا عيانا. وصار الخير بالذات. في الأوصاف والصفات وعرف الله إيمانا ويقيناً. وصنعته بيانا وتبيينا[١] وقد أودع فيها من اللطائف الغريبة والنكت والعلوم والمعارف العجيبة. ما يكتفي بقدره. ويستغني بذكره. من غرائب العلم. وعجائب الحكم. وفرائد الطرف. وفوائد التحف. وسماها رسالة **(القصد المجرد. في معرفة الاسم المفرد)** وهو الله جل ذكره وعز قدره. وحصر مجموعها في قسمين. ضابطين لها محكمين. وأتى على كل قسم منهما بشاهد أدلة صحيح منقول البيان. ومعقول صحيح البرهان. من الكتاب والسنة وقول العلماء الألمعية. ومن اقتفى أثرهم من الفضلاء الصوفية. فاعلم ذلك والله الموفق للصواب. الحافظ من الأوصاب[٢]!

(١) بياض بالأصل لم نتمكن من الوقوف عليه.

(٢) الأوصاب: جمع وصب، وهو المرض والوجع وشدة التعب الدائم.

القسم الأول
في معرفة اشتقاقه وأقسامه
وذكر تفصيل حروفه وتعلق أقسامه ومقتضى أحكامه

قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾

[البقرة الآية : ٢٥٥، وآل عمران : ٢]

قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) ﴾ [النساء]

قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) ﴾ [النمل]

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨) ﴾ [طه]

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ③﴾ [الأنعام]

وقال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]

فتنبه أيدك الله تعالى في هذه الآيات وفي أمثالها كيف ابتدأ فيها بذكر اسم الله. ونفى ما سواه. وإثباته إياه. فكل اسم من أسمائه إن أظهره فهو صفة هذا الاسم ونعته. وإن أظهره بالهاء فهو عائد عليه وهو منه وإليه، فإنه لا يتم ذكره إلا بإظهار الهاء، وسيأتي ذكر ذلك والكلام على حروفه مبينا - إن شاء الله تعالى -.

وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]

أراد فيهما معرفته بالألوهية. وعبادته. وذكره. وفعله. وحكمه. وأمره.

وقال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ»(١) وفي رواية أخرى «حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذلكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»(٢).

وقال - عليه السلام - لمعاذ بن جبل: «يَا مُعَاذُ مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ» فَقَالَ: يَارَسُولَ اللهِ أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُونَ؟ قَالَ: (إِذًا يَتَّكِلُوا)(٣).

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ»(٤).

(١) أخرجه مسلم، عن أبي هريرة. (٢) أخرجه مسلم، عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ له.

(٤) أخرجه الترمذي، عن عبد الله بن عمرو، وحسنه الشيخ الألباني ولفظه: «خير الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له...» الحديث بطوله، وأخرجه الطبراني عن علي، رضي الله عنه، مرفوعا بلفظ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون يوم عرفة...» وبقيته مثله، وإسناده لا بأس به في الشواهد.

وقال ـ عليه السلام ـ لأبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ لَقِيتَهُ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» الحديث(١).

فتأمل وفقك الله تعالى كيف اشترط الله ورسوله العلم في التوحيد. والعبادة في المعرفة(٢). قال الله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [سورة محمد: ١٩]

وقال عليه السلام: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٣) وفي رواية «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ» والشهادة هي العلم. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا ﴾[سورة يوسف: ٨١] وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]

(١) أخرجه مسلم، ولفظه: «يا أبا هريرة! اذهب بنعليَّ هاتين، فمن لقيت...» وبقيته مثله.

(٢) السياق يقتضي: المعرفة في العبادة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد، ومسلم، عن عثمان، رضي الله عنه.

ومعناه ليعرفون . وقال عليه السلام لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَاب ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تدعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ ، فَإِذا عَرَفُوا اللهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ فَرَائِضَ»(١) .

فبين وجوب العلم بالفرائض على وجوب العلم بالتوحيد(٢) وجميع الرسل عليهم السلام قد اجتمعوا على دعواهم الخلق إلى التوحيد . كما أخبر الله تعالى بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ يوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون (٢٥) ﴾ [الأنبياء] وقال عليه السلام : «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي» الحديث . ولا خلاف بين الرسل في التوحيد . وإنما اختلفت شرائعهم ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً

(١) أخرجه الجماعة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٢) الحديث الذى أشار إليه المصنف جاء فيه : «... فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم ...»الحديث، فقد بين وجوب العلم بالتوحيد على وجوب العلم بالفرائض، إذ لا يقبل الله من العبد شيئاً من الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة إلا إذا أقر بشهادة التوحيد أولاً.

وَمِنْهَاجًا ﴾[المائدة: ٤٨] ولا إله إلا الله هي لاستنقاذ الذات المحدثة من العذاب الأدنى في الحال. ومن العذاب الأكبر في عاقبة المآل. وعلى النطق بها بني الإسلام. وعلى قواعدها والعمل بمقتضاها بني الإيمان. وعلى فهم عقائدها والجمع بينها بني الإحسان. ومن شهود شرفها يترقى إلى مبادئ الإيقان. فقولها إسلام. وعملها إيمان. وفهمها إحسان. وتحققها إيقان. وظاهرها عنوان الإسعاد: فظاهرها عالم الملك بداية للشهادة. وباطنها فهم المراد بها في عالم الملكوت وبسط للمعرفة. وحقيقتها كشف معاني أسرارها في عالم الجبروت نهاية للشهادة. فهي في الدنيا عقد الجنان. على مقتضى الإيمان. وفي الآخرة الكشف والعيان. على مقتضى الإيقان، وهي عصمة في الدنيا للدماء والأموال. وعصمة في الآخرة عند عاقبة المآل. فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله. عصم ماله ودمه إلا بحقها، ومن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة. ويجمعها سر معاني

التوحيد . ومعرفة التفريد . وفهم التجريد . وهي الدالة على قول النبي ﷺ : «أُوتِيتُ جَوامعَ الْكَلم» فمن طلب الله بنفسه دون اقتداء لم يصح توحيده وارتدى. ومن طلب بالله ورسوله وهو العلم صح توحيده واهتدى. ومن عرف الله من جهة الإيمان أطاعه. ومن عرفه من جهة اليقين آثره . ومن عرفه من جهة التوحيد عظمه. ومن لم تفده المعرفة علما بالله وبصفاته ومزيدا في حقيقة توحيده. فهو محجوب. والمحجوب مفقود فإيمان العلماء عن علم يقين. وقال رسول الله ﷺ : «الْيَقِينُ هُوَ الإِيمَانُ كُلُّهُ» والنقل والرواية في علم الإيمان أنفع وأقوى من التقليد . والكشف والدراية أنفع وأقوى في علم التوحيد . فإن لا إله إلا الله محمد رسول الله لازمة للخلق اعتقاداً بها قلبًا . والاعتراف بها نطقا . والوفاء بها علما . فإذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب العبد الدنيا والآخرة . فتارة له وتارة عليه . وإذا دخل الإيمان باطن القلب أبغض العبد الدنيا وأحب الآخرة وهجر هواه . وإذا باشر الإيمان سويداء

القلب أعرض عما سوى الله. والتوحيد هو العلم. والعمل أصل الإيمان. والإيمان هو التصديق. وكل تصديق بالقلب فهو علم، فإذا ثبت سمي يقينا. فإذا قوى سمي توحيدا. فإذا رسخ سمي معرفة. فمثل من عرف عقائد باطن الإسلام كمن وجد كَنزاً، ومثل من عرف عقائد باطن الإيمان كمن وجد معدنا، ومثل من عرف فوائد سر الإحسان كمن وجد الكيمياء، فكوكب سماء ملكوت السعادة الإسلام. ودريها الإيمان. وقمرها الإحسان. وشمسها الإيقان. ولا إله إلا الله دائرة بين النفي السالب، والإثبات الموجب. فالنفي السالب لجميع صفات الحدوث والنقص والعدم. والإثبات الموجب لجميع صفات التنزيه والكمال والقدم. فمن نظر إلى وجود الحق بعين القدم ونظر إلى ما سواه بعين الحدوث والعدم. فقد شاهد أزليته. وقال ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله. ومن نظر إليه بعين البقاء. ولخلقه بعين الفناء. فقد شاهد سر أزليته. وقال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله بعده. ومن نظر إليه بعين

العلم والقدرة وللخلق بعين الجهل والعجز وقصور المنة. فقد شاهد فعله وإحاطته. وقال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله معه. وأصل المشاهدة ينقسم إلى ثلاثة أقسام: مشاهدة فعلَ بفعل. ومشاهدة صفة بصفة. ومشاهدة ذات بذات. فمن نظر إلى الحق بالحق تجلت له الأسماء والصفات. وسريانها في المكونات. والعلم في المعلومات. ومن نظر إلى الأشياء بالعلم ظهرت له الصنعة في المصنوعات والأفعال في المفعولات. ومن نظر بالله لا به انقطعت الإضافة وتلاشت المحدثات. وفنيت العبارات والإشارات. قال الشاعر:

أُلاَحِظُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ ... وَأَدْعُوهُ سِرًّا بَاطِنًا فَيُجِيبُ
مَلأَتُ بِهِ قَلْبِي وَسَمْعِي وَنَاظِرِي ... وَكُلِّي وَأَجْزَائِي فَأَيْنَ يَغِيبُ

واعلم أن التوحيد هو إثبات القدم. وإفراد المحدث ونفي العدم. ومعرفة التفريد هو إفراد الاسم. وفهم التجريد هو التنزيه بالعلم. وأصل لا إله إلاالله هو إثبات اسم الألوهية. وإخلاص إفراده ونفي ما سواه من الإلهية. وتنزيهه عن أضداده

وأنداده. وبفهم معناه وسره يصح الإسلام. وشهادته يتم الإيمان. وقاعدته يكمل الإحسان. ومحبكم يبين لكم إن شاء الله تعالى معاني هذا الاسم المفرد وصفاته. وأسرار حروفه وعددها. وجملة تعداد حسابها. يحصل لمن علمه وأدركه بشواهد مبينة جهد فهم ذوقه. وحال سلوكه. فاعلم أيدك الله تعالى بمواد المزيد. وفهمك معاني أسرار التوحيد. بفضلة من فضله.

أن هذا الاسم. المفرد. المعظم. المقدم. المجرد. أعني الله عز ذكره. هو اسم الذات العلية. الموصوفة بصفة الألوهية المعروفة بنعوت الربوبية. المتصف بصفة الأحدية. المنفرد بوحدة الوحدانية. المنعوت بصمدانية الصمدية. المنزه عن جنس الكيفية. وأنواع المثلية. المقدس عن أن يحيط بمعرفة كنه إدراكه عقول البشرية. فهو: الله.

اسم الإله. الواحد. القديم. الحي. القيوم. العلي. العظيم. الباقي. السرمد. الكبير. المتعال. الموجود. المطلق الوجود. الأزلي الذي لم يزل أولاً وآخراً. وظاهراً وباطناً. ولا

يزال . المستحق بالوجود الحقيقي . الواجب الوجود . وكل موجود سواه مستمد منه الوجود . فهو من حيث ذاته هالك فان . ومن حيث موجده ثابت موجود . وهو أعظم الأسماء . لأنه دال على الذات العلية . الجامعة لكل كما صفات الألوهية . وكمال الذات هو كمال الوجود ودوامه أزلاً وأبداً . باق سرمداً . واستحال عليه العدم . كما وجب له الوجود والقدم . قال الشاعر :

جَلالُكَ يَا قُدُّوسُ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ
كَذَاكَ صِفَاتُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهَا عَدٌّ
تَعَالَيْتَ عَنْ شِبْهِ الْخَلِيقَةِ كُلِّهَا
وَمِنْ وَصْفِ عَلْيَاكَ الطَّهَارَةُ وَالْمَجْدُ
قَضَاؤُكَ مَحْتُومٌ وَأَمْرُكَ نَافِذٌ
وَمَاشِئْتَ مِنْ شَيْءٍ فَلَيْسَ لَهُ رَدٌّ
لَكَ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَكُلُّ مُعَبَّدٍ
كَفَاهُ اعْتِزَازًا أَنْ يُقَالَ هُوَ الْعَبْدُ

وقد اختلف العلماء في هذا الاسم المفرد. هل هو مشتق أم لا؟ والكلام فيه من ثلاثة أوجه:

أحدها: من طريق اللغة.

الثاني: من طريق الحكمة.

الثالث: من طريق المعرفة.

فأما الوجه الأول: من طريق اللغة فعلى قولين. قائل باشتقاقه وإطلاقه. وقائل بالتوقف عنه ومنعه. فالمتوقف المانع قال: لا يجوز اشتقاقه من معنى بوجه أصلا فإن الله تعالى قال: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥) ﴾ [مريم] وفيه ثلاثة معان.

الأول: هل تعلم أحدا تسمى الله غير الله ؟! أو اسما غير ما سمى به نفسه.

الثاني: هل تعلم أحدا يستحق كمال الأسماء والصفات ما يستحقه الله ويتصف به حقيقة؟!

الثالث: هل تعلم اسما هو أعظم من هذا الاسم المفرد.

أو له اشتقاق من شيء كما يشتق لأسماء الخلق؟! فهو لا يشبهه شيء. وإنما هو دال على ذات الإله الذي قامت به الصفات. بمثابة اسم العلم الدال على المسمى من غير اشتقاق له من شيء. وهو اسم تفرد به الله سبحانه وتعالى واختصه لنفسه. ووصف به ذاته. وقدمه على جميع أسمائه وأضاف أسماءه كلها إليه. وكل ما يأتي بعده من الأسماء نعت له. وصفة لوصفه. ومتعلقة به. وتوصف سائر الأسماء بأنها أسماء الله تعالى وتعرف في الأغلب بالإضافة إليه. يقال إنها من أسماء الله تعالى. ولا يقال من أسماء الصبور. أو الغفور. أو الجبار. وكذا الإسلام لا يتم إلا بذكر هذا الاسم، ولا يقبل اسم عوض منه، ولا ذكر بدل عنه. بأن يقال لا إله إلاالغفار أو الرحيم. أو الجبار. وإنما يقال لا إله إلا الله. وبذلك نطق القرآن والحديث. لأنه أدل على كنه المعاني الإلهية واختص بها. وهو بها أشهر. وأتم وأظهر. فاستغنى عن التعريف بغيره من

الأسماء. وعرف غيره بالإضافة إليه. وجعله للنطق والذكر والتعلق. دون الاتصاف به والتخلق. قال الشاعر:

يَاذَا الَّذى قَدْ دَنَا بالْبَحْثِ وَالطَّلَبِ
عَنْ سِر مَعْنًى سَمَا عَنْ رُتْبَةِ النَّسَبِ
اقْبَلْ نَصِيحَةَ مَنْ قَدْ قَالَ معْتَرِفًا
لاَ تَجْعَلَنَّ إِلى التَّشْبِيهِ مِنْ سَبَبِ
لاْسمِ الإِلهِ الَّذِي قَدْ جَلَّ مُنْفَرِدًا
عَنِ اشْتِقَاقٍ وَعَنْ إِسْمٍ لِذى أَرَبِ
قَدِ ارْتَضَاهُ لَهُ إِسْمًا وَنَزَّهَهُ
بِالذِّكْرِ عَنْ خَلَف فِي سَائِرِ الْكُتُبِ
وَاخْتَصَّهُ بِاسْمِهِ فِي ذَاتِهِ فَأَتَى
مِنْ بَيْنِهَا سَائِرُ الأَسْمَاءِ بِالْعَجَبِ
مِنْهَا الثَّنَاءُ الَّذى قَدْ عَمَّ مُشْتَمِلاً
شُكْرًا عَلَى نِعَمٍ وَالذِّكْرُ فِي الْخُطَبِ

فَأعْلنْ بِهِ أَيَدًا وَاحْذَرْهُ عَنْ خَلَف
إنْ كُنْ ذَا هِمَمٍ أَوْ كُنْتَ ذَا أَدَبِ

والقائل بإطلاق اشتقاقه قال هو مشتق من خمسة أشياء: من الوله. ومن النجا. ومن الحجب. ومن العلق. ومن البقاء. فأما اشتقاقه من معنى الوله فأصله إله. والإله هو الذي يؤله له. ويقصد في طلب الحوائج. ويفزع إليه في النوائب. ويرجى فضله ويخاف عدله. كما قال الشاعر:

وَكَلْتُ إِلَيْكُمْ فِي بَلاَيَا تَنُوبُنِي
فَأَلْفَيْتُكُمْ عَوْناً كَرِيمًا مُمَجَّدًا

وقيل: من معنى إله. زيدت فيه اللام للتفخيم. فقيل الإله. ثم حذفوا الهمزة المتخللة بين اللامين. وأدغموا اللام الأولى التي للتفخيم في اللام الثانية التي للتعظيم. فعظمت فقيل ﴿ الله ﴾ واسم الله من الألوهية. هو اسم يوجب الوله. إما لشدة طرب العبد وسروره. وإما لفرط شدة حزنه وخوفه

وذعـره. فـيكون بـين وقـتين. وقت قـبض. ووقت بسط. فـفي حالـة القـبض يوجـب له هيبـة. يصـحب طرفـهـا دهشـة. وفي حالة البسط يوجب له قرْبة. يصحب طرفها فرحة. فمن عرف ربه فزع إليه ودعاه. ووله له وأعرض عمن سواه. وآثر رضاه على هواه. قال الشعر:

لِلّهِ دَرُّ الْغَـــانِيَـــاتِ النُّزَهْ سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مَنْ تَأَلَّهُ

وأمـا اشـتـقـاقـه من مـعـنى الحـجب. فـأصلـه لاه. ومـعنـاه احـتـجب عن الخلق. وحـجب أبصـارهـم عن رؤيتـه في الدنـيـا وفي ذلك. قال الشاعر:

لاَهَتْ فَمَا عُرِفَتْ يَوْمًا بِجَارِحَةٍ
يَالَيْتَهَا ظَهَرَتْ حتى رَأَيْنَاهَا

فـمن عـرف ربه راقـبه. وحـاسب نفسـه. وعـلم أنه يراه من حيث لا يراه. فهو يستحيي منه.

وأمـا اشـتـقـاقـه من مـعنى العلو والرفـعـة. فأصله أيضـا لاه. يقـال لاهـت الشـمس إذا علت وتـوسطـت قـبة السـمـاء في علو مركزها واستوت حالة وقوفها. كما قيل:

لأَهَ الإِلَهُ وَفِي أَعْلَى العُلاَ حَقًّا   حَسْبِي بِهِ فِعْلِي إِلَيْهِ يَرْقَى(١)

وأما الكلام على الوجه الثاني من طريق الحكمة. فقيل فيه: إنما تفرد الحق سبحانه بهذا الاسم المفرد. أعني ﴿ الله ﴾ ومنع الغير أن يتسمى به. وقبض الخلق عن الإدعاء فيه. والتخلق به. والاتصاف بوصفه. لأجل عظمة الألوهية وكبريائها. قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) ﴾ [سورة النمل] وقال: ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾[النمل: ٦١]، ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) ﴾ [سورة النمل] وقال: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) ﴾ [سورة الأنبياء] وقال عز من قائل: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾[سورة المؤمنون: ١١٦، ١١٧] وفي الحديث الصحيح (قال الله تعالى: «الْكِبْرِيَاءُ

(١) هذا البيت كما في الأصل وهو كما ترى قد لعبت به أيدي التحريف والنسخ.

رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِي أَحَدِهِمَا قَصَمْتُهُ»(١) أي أهلكته وأدخلته النار. واسم الألوهية عبارة عن وجوه القلوب متوجهة بالجمع والإخلاص إليه. ووجوه الأجسام وأعضاؤها. مقبلة بصدق الخشوع في العبادة عليه. فإنه الواجب الوجود المطلق. الحقيقي الحق. وكل ما سواه هالك. فان . باطل. كما قال عليه السلام: أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ:

أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ(٢)

وأما الكلام على الوجه الثالث من طريق المعرفة. فقيل: إن الحق سبحانه اختار هذا الاسم أعني ﴿ الله ﴾ لثلاثة أشياء:

أحدها: لذاته. فهو خاص به لا يشاركه فيه أحد غيره. لا بالمجاز ولا بالحقيقة. لما فيه من الأسرار والحكم والمعاني. ومن الاختصاص والتعظيم.

(١) أخرجه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وابن النجار، عن ابن عباس وأخرجه الحاكم، عن أبي هريرة، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم، عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

الثـاني: أنه جامع للمعاني اللطيفة. والصفات الشريفة. فإن غيره من الأسماء فيه معنى واحد. أو معنيان يختص به. كالخالق والفاطر. والمخترع. والمحدث. والمبديء. والمبتدع. وما ماثل ذلك كله بمعنى واحد. وإن كان لا يخلو كل اسم من خصوصية ما يمتاز بها. ومثل الرازق. والمنعم. والمحسن. والمتفضل والمعطي. والجواد. والكريم. كل ذلك أيضاً الغالب عليه معنى واحد. وسائر الأسماء والصفات قد يتعدد لفظها. ويتفق معناها وقد لا يتعدد. ويختص بمعنى واحد. واسم الله معناه لايحصى ولا يعد. ولا يحصر ولا يحد. وكل الأسماء راجعة له. مضافة منسوبة إليه. ومشيرة بخواصها في الحقيقة عليه. وتعرف به جميع الأسماء والصفات. ولا يضاف هو إلى شيء سوى الذات.

الثـالث: اختصاصه بأسرار ليست في غيره من الأسماء. وفضله وعظمه. وأسماؤه. وصفاته كلها فاضلة عظيمة. إلا أن هذا الاسم له تخصيص زائد تام كامل على سائرها. كما

أن التوراة والإنجيل والزبور والصحف والفرقان. الكل كلامه عز وجل ولكنه اختص منها القرآن وفضله على سائرها. فكذلك هذا الاسم من بين أسمائه: وخصوصيته وفضله وشرفه. فمن خواصه أنه في ذاته اسم كامل في حروفه تام في معناه خاص بأسراره مفرد بصفته فكان أولاً ﴿ الله ﴾ فحذف منه الألف فبقى ﴿ لله ﴾ ثم حذفت منه اللام الأولى فبقى «له» ثم حذفت اللام الثانية فبقى «هو» فكان كل حرف منه تام المعنى. كامل الخصوصية. لم يتغير منه معنى. ولا اختلف بتفريق حروفه منه فائدة ولا نقصت منه حكمة. ولكل لفظة منه معان عجيبة. مستقلة بذاتها غريبة. وسيأتي الكلام على معنى هذه الألفاظ وعلى حروفها آخر هذا القسم إن شاء الله تعالى مبينا. وغيره من الأسماء كلها ليس كذلك أمرها. فإنه إذا حذف شئ من حروفها. أو فرق بعضها من بعض اختلفت معانيها. واعتلت أساميها. وفسدت أحكام حكمها. ونقصت فائدتها. فلهذا كان هذا الاسم جامعا شاملاً. تاما

كاملا. على الجملة والتفصيل. ولم يؤثر تفصيل حروفه. ولاتفريقها. ولا إفرادها في شيء من جملة معانيه ولا أخلت بشيء من أسراره. ولا نقصت تجزئته شيئاً من كله.

واعلم أن الأسماء الحسنى هي ألف اسم منها ثلثمائة في التوراة وثلثمائة في الإنجيل. وثلثمائة في الزبور. وواحد في صحف إبراهيم. وتسعة وتسعون في الفرقان. قد جمعت معاني تلك الأسماء كلها. وأدخلت في التسعة والتسعين اسما التي في القرآن واحتوت عليها. واشتملت على فضائلها وأسرارها وثوابها وأن الأسماء كلها التي في جميع الكتب أولها:

الله

ولهذا كان لهذا الاسم أكثر جريان وتذكرة على ألسن الناس في جميع الأمور. من كل ما يحاول من الأشياء. لا في الأقوال ولا في الأفعال. ولا في الأسباب كلها. فبدأ فيها

ببسم الله. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ [سورة هود: ٤١] وقال: ﴿ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ④ ﴾ [سورة المائدة] وقال: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الأنعام: ١١٨] وقال: ﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ [سورة الأنعام: ١٢١] وقال: ﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ㉓ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة الكهف: ٢٢، ٢٣] وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [سورة المائدة: ١١، وسورة الأحزاب: ٩] وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ㊶ ﴾ [سورة الأحزاب: ٤١] وقال: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥] وكل ذلك حضًا على ذكر هذا الاسم. وسيأتي الكلام على ذكره في القسم الثاني من هذه الرسالة مبينا مفصلا إن شاء الله تعالى.

ثم إنه أول الأسماء الحسنى. وجعل افتتاح كل سورة من القرآن ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ وفي ذلك معنى لطيف

لكونه أول الأسماء. والرحمة أول الأشياء. كما ورد في الحديث الصحيح ﴿إنَّ اللهَ قَالَ أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا الرَّحْمن الرَّحِيمُ سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي﴾ وبين الإماسان رضي الله عنهما مالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي أن هـ الاسم اسم الله تعالى ليس فيها كاملا، وإنما فيها بعض الاسم وهو ﴿لله﴾ بلام الملك. وفرق بين الاسم وبين لام الملك. فإنه لا يصح عنده اسم الألوهية إلا بكماله. وكماله لا يكمل إلا بالألف. وهو أصل الاسم لكونه أول الأشياء في العدد. وفي اسم الأحدية وأول الحروف ولما فيه من الأسرار كما سيأتي إن شاء الله تعالى ذكره في موضعه.

واسم الألوهية عبارة عما في وجوه قلوب الخلق. ووجوه أبدانهم متوجهة إليه بالعبادة. وهو الإله المعبود. المستحق للعبادة ظاهرا وباطنا. بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة] فنصفها ألوهية ونصفها عبودية. ورد الشافعي أن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من أم القرآن ومن لم يسم فيها

نقصت صلاته ولم تتم، وفي إعادتها عنده قولان. وأن من دعا بهذا الاسم فقد دعا بجميع الألف اسم التي في جميع الكتب المنزلة. ويجوز للعبد السالك أن يتخلق بسائر الأسماء والصفات غير هذا الاسم المنفرد فإنه للتعلق لا للاتصاف والتخلق. قال الله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ [سورة آل عمران: ٧٩] وقرئ بثلاث روايات ﴿تَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَتَعَلَّمُونَ﴾ ﴿وَتُعَلِّمُونَ﴾ بجميع ثلاث معان. علمه. وتعلمه وتعليمه. والعلم نور في ذاته. فإذا عمل به صار نورانيا في ذاته ولغيره. والعلم عقيم فإذا عمل به أنتج. ومعنى ربانيين(١) متخلقين كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ» وقال عليه السلام: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ خُلُقٍ فَمَنْ تَخَلَّقَ بِوَاحِدٍ مِنْهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

والتخلق بالأسماء جائز. وتصير أوصافا للسالك في حال

(١) قال ابن عباس فى معنى قوله تعالى: ﴿كونوا ربانيين﴾ اى حكماء علماء حلماء، وقال الحسن: فقهاء، أهل عبادة وأهل تقوى. (ابن كثير).

سلوكه ورياضته على وجه التخلق والتشبه. لاهي هي عينها وذاتها. ولكن العبد يتصف بصفة سيده. كالغفور. والصبور. والستار. والرحيم. والجواد. والفاضل. والكريم. والجليل. والرءوف. والعادل. والحليم. وما أشبه هذه الأسماء. إلا أن خاصية الألوهية في كمال الصفات. وتنزيه الذات عن التغييرات ليست إلا لله وحده، ولا مشابهة بين القديم والمحدث إذا تخلق بأخلاقه فإن صفات الحق تعالى قديمة أزلية منزهة. لا تصير للعبد حقيقة لأن الإله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾[الشورى] ولا يشبهه شئ. والمماثلة منفية عن الله تعالى. وإنما يحصل له ما يناسب تلك الأوصاف ويشاركها من حيث الاسم في عموم الصفات. دون خواص المعاني. ولا انتقال لعين الصفات. ولا مماثلة مطلقة من كل وجه. ولاتامة على التحقيق. ولا مناسبة كمناسبة الجسم لمكانه وحيزه. والجوهر لجوهره ومحله. وإنما الإشارة إليه بالجواز على وجه الاتساع في اللغة في المجاز والحقيقة وغير

ذلك. فوقع المجاز في التشبيهات. وكمال حظه من جهة التنزيه على الشدة والغضب والشهوات. والترقي من حظوظ هوى النفس وانسلاخه من عوائد الصفات المذمومة إلى أوصاف التنزيهات. كما تنسلخ الحية من جلدها حتى لا تعود إليه. ولا يبقى في القلب متسع لغير الله تعالى. فرق بين هو هو وكأنه بكاف التشبيه. وإنما كان سعادة العبد وخصوصيته في التخلق بأخلاق الله تعالى. والتحلي بمعاني أسمائه وصفاته بقدر ما يتصور في حقه أن يتصف بمحاسنها. إلى أن يكون العبد ربانيا. أي قريبا من الرب جل وعلا. ويصير رفيقا إلى الملأ الأعلى. المنزه المطهر المزكي. من الملائكة. فإنهم على بساط من القرب. فشبهه بصفاتهم ينال القرب بقربهم. بقدر ما ينال من أوصافهم المرضية. المقربة لهم إلى الله تعالى. والمراد قرب الدرجات والمقامات. لا قرب الجهات والمسافات. ومهما اقتدى بالملائكة وتشبه بأخلاقهم كان أبعد عن البهيمة وأحوالهم، وأقرب إلى الملائكة وأوصافهم. والملك قريب من الله. والقريب من القريب

قريب. وكلما كانت علوم العبد ومعارفه أكثر وأوسع كان أقرب إلى الله تعالى وأرفع، وعلى قدر ما يكشف له عن إدراك حقائق المعلومات على ما هي به وعليه. وتتضح له تفاصيل صفات العلوم من جهتها كشفا تاما، وإيضاحا يقينا ثبتت تعلقات معلوماته بعلمه. وبقيت ودامت وصحت. وتبين كمالا للنفس في حياتها وبعد مماتها، وفي استيلاء العلم على المعلوم نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية. لإحاطته عليها بعلومها. فلا يلحقه بعد ذلك زوال ولا انقلاب ولا تغير ولا نقص. وحينئذ يكون قد تمكن قربه من الله تعالى. وزادت معرفته. ونارت بصيرته. ورسخ توحيده وذلك من حيث أن الله تعالى دائم باق. ولا يلحقه زوال. ولا نقص ولا تغير. ولا تقبل صفاته شيئاً من التغيرات. مما يلحق المحدثات فإن قرب الحق جل وعلا بالعلم والقدرة لعامة المسلمين. وقربه باللطف والنصرة لخاصة المؤمنين. وقربه بالأنس والشهود للأولياء والعارفين. وحقيقة القرب من الله تعالى فَقْد حس الأشياء من القلب بصدق الضمير إلى الله سبحانه وتعالى.

وأقرب ما يصل العبد به إلى الله تعالى كمالات النفس برياضة العلم إلى الأخلاق الحميدة، وتنزيهها بالآداب السنية المفيدة. بالرياضات العقلية الحسنة السريرة. وهي ثلاثة أشياء:

أولها: زيادة المعرفة بالعلم والتقوى.

الثانية: الحرية من رق الشهوة والهوى.

الثالثة: تزكية النفس بالتخلق بأخلاق المولى. فإن أشرف المعرفة معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته. وأشرف الحرية الخروج عن رؤية النفس ودعواها بالكلية. وأشرف تزكية النفس الاتصاف بكل خلق وأدب حسن عقلا وشرعا. فيكون المتصف بهذه الأوصاف مخصوصا بالدرجة العليا والمقام الأسني متصفا بصفات الكمال الملكي. متنزها عن صفة النقص البهيمي. منسلخا عن مذموم ظلمة أوضافه البشرية. مقدسا عن غلبة الشهوة والهوى والشره الطبيعي. فعند ذلك تحصل له نسبة القرب بينه وبين نسبة الملائكة بالوصف العقلي النوراني. ويبعد عن جنس وصف الحيوان البهيمي. وتقع

المناسبة بالشبه والمساواة والمشاركة في الصفات لفظا. لا كمالا حقيقة. لأن النقص موجود في المحدث. والكمال حقيقة فيمن لا نظير له في ذاته. ولا في صفاته. وإن كانت النسبة والمشاركة والمشابهة في الصفات لا توجب المماثلة في حقيقة الذات. لأن المشاركة في كلٌ وصف لا توجب المماثلة في كل وجه. لأن الضدين يتماثلان وبينهما غاية البعد، إذ السواد يشارك البياض في العرضية واللونية والإدراكية. وليس المثل كالممثل به. ولا المشبه كالمشبه به. وبيان القديم من المحدث أعلى من التباين بين السواد والبياض.

وقد روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سئلت عن خلق النبي ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن(١). وبذلك وصفه الله سبحانه كما في كتابه بأنه رءوف. رحيم. وعدل. وهاد وجواد. وكريم . وعفو. وغفور. وستار. وحليم. فأكمل الله له جميع الأخلاق الكريمة بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي.

﴿٤﴾ [سورة القلم] وقال ﷺ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١) وفي رواية أخرى من حفظها دخل الجنة .

والناس في إحصائها على ثلاثة أصناف. صنف أحصاها تصديقا واعتقادا ورواية ومقالا، وصنف أحصاها حفظًا وعدا ودراية وسلوكا وحالا، وصنف أحصاها ذكرًا وحفظًا وعلمًا ومحافظة ومعرفة وتخلقًا وكشفًا وشهودًا وتعظيمًا وإجلالاً.

وكل طائفة من هذه الأصناف الثلاثة قد وعدهم الشرع بدخول الجنة، ولكن جنة كل صنف منهم على حسب علو منازلهم. ورتب أحوالهم وتمكين معرفتهم. وقوة يقينهم، وعلى قدر ما كشف لهم من فهم أسرار الأسماء والصفات تخلقوا بها. وتحققوا فيها. وشاهدوا من تجلى صفات الذات. فإن الإحصاء الذي ورد فيه الترغيب هو مطلق يحتمل التخصيص والتعميم.

---

(١) أخرجه الشيخان، والترمذي، وابن ماجه، عن أبي هريرة، ولفظه: «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا..» وبقيته مثله.

وفيه إشارة إلى قول النبي ﷺ «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَمِائَةَ دَرَجَةٍ وَإِنَّ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ لَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ أَعَدَّهُنَّ اللّٰهُ تَعَالَى لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ**»(١).

وفيه دليل أيضا على أن من أعطى اسما من أسماء الله تعالى حقه كما يجب جاز درجة، ومن أحصى الجميع جاز الدرجات كلها. فمن أقر بفضلها وقرأها فهو المسلم، وله الإفادة، ومن عرفها ودراها فهو المؤمن وله الزيادة، ومن علم معانيها وعمل بمقتضاها واتصف بها فهو العارف وله المشاهدة. فمن عرف هذا الاسم أقيم بشواهد الهيبة والجلال، وخص بمزيد القربة والكرامة والإفضال. ومن انكشف له سر معنى حكمته وانفصلت عنه رعونة البشرية. ولاحت له هيبة جلال عز الربوبية. وتحقق له محض ذلة العبودية. فإن حقيقة اسم الإلهية إدلال الإلهية. والألوهية صفتها العظمة والكبرياء

(١) أخرجه الإمام أحمد، والبخاري، وابن حبان، والبيهقي في الأسماء، عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

والعزة والعلو وإطلاق القدرة والاستغناء. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ [سورة الرعد: ١٦] وقال: ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴾ وهو الاسم الأعظم. فإنه روي في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه سئل عن اسم الله الأعظم. فقال: ﴿ اسمه اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾(١) وهو الاسم المقدس المنزه المكرم. اسم ذاته. والمنعوت بصفاته. المخصوص بالتقديم على الأسماء والتشريف والتعظيم. وقد تنزل الأسماء منزلة الصفات. وتنزل الصفات منزلة الأسماء. اتساعا في الألفاظ، وتجمعها كلها صفة الألوهية.

واعلم أن مجموع صفات الله تعالى في إدراك عقولنا وفي مفهوم علومنا على ثلاثة أضرب:

منها سمعية لا يجوز إطلاقها، ولا إثباتها إلا بعد ورود

(١) أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه، عن أسماء بنت يزيد، ولفظه: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وفاتحة آل عمران: ﴿ آلم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾.

الإذن بإطلاقها ولا يجوز لأحد. ولا يجوز أن يسمى الله سبحانه باسم غير ما سمي به نفسه. أو أذن به. أو سماه به رسول الله ﷺ. واجتمعت عليه الأمة. ولا يجوز أن يسمى بما لم يجز في صفته. مثل عاقل. وفقيه. ولبيب. وسخي. وشبه ذلك. وكره مالك الدعاء بياسيدي. أو ياحنان. أو أن يسمى خليل. أو حبيب. أو صفي. أو جميل. أو مليح. ولا يجوز أن يطلق عليه أو يضاف إليه وإلى أسمائه الحسنى ما ذكره عز وجل في كتابه. كقوله: ﴿خَادِعُهُمْ ـ وَمَكَرَ اللَّهُ ـ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ـ وَيُضِلُّ اللَّهُ﴾ وإنما ذكر ذلك تعالى على المقابلة والمكافأة والمجازاة لهم على فعلهم بإعادة أوصافهم إليهم. وهي من أوصاف الأفعال والجزاء. ومن الأسماء التي نفاها الله تعالى عن نفسه. ونزه ذاته العلية وصفاته القدسية عن الاتصاف بها.

ومنها صفات ذاتية. كان موصوفا بها في الأزل، وهو موصوف بها فيما لا يزال. ويستحيل أضداد ذلك. كحي.

وعالم. ومريد. وقادر. وسميع. وبصير. ومتكلم. وأسمائه الذاتية من الأسماء الحسنى.

ومنها صفات فعلية. تسمى بها الباري سبحانه. لصدور الأفعال منه. فإن المحدث يتعلق بكلامه تعالى. بقوله كن. وكن هي الأمر بالتكوين. والقدرة توجد الفعل وتوقعه وتظهره. والعلم محيط به. ويرتبه ويكشفه. والإرادة تخصصه وتبدعه وتتقنه. والسمع والبصر والكلام يقتضيان كمال المتصف بها. ولا تتعلق قدرة المحدث ولا إرادته، ولا إحاطة علمه بالقديم. ولا تتعلق قدرة الله تعالى وإرادته بذاته ولا بصفاته القديمة. وإنما تتعلق بإيجاد المحدث وتخصيصه. والحق سبحانه يعلم ذاته وصفاته. ويبصر نفسه. ويسمع كلامه.

وقد قسم العلماء معاني الأسماء الحسنى على أربعة أقسام:

الأول من أسمائه: هو ما يدل على الذات الكريمة الجليلة المنزهة القديمة العظيمة. وذلك كل ما دلت التسمية به على

وجود ذاته وهو راجع إلى نفسه. كشيء. وموجود. وذات. وإله. وقديم. وباق. ودائم. وأزلي. وقيوم. وواحد. وفرد. ووتر. وصمد. وأول. وآخر. وظاهر. وباطن. وحميد. وحق. وما هو من هذه الأسماء فهو اسم الذات العلّية. ويقال إنه هو الاسم وهو المسمى.

****

القسم الثاني من أسمائه: وهو راجع إلى صفة ذاته القديمة. وهو ما لا يقال إنه هو ولا إنه غيره. ولا الاسم هو المسمى. وذلك كل ما دلت التسمية به على صفة ذات نفسه. وهي تنقسم على أربعة أقسام(١):

منها صفات تختص بنفس ذات الباري سبحانه وتعالى كالحياة. والعلم. والقدرة. والإرادة. والسمع. والبصر. والكلام.

ومنها صفات تختص بالإرادة. كالرحمن. والرحيم.

---

(١) القسم الرابع لم يحرره المصنف.

والغفور. والعفو. والحليم. والودود. واللطيف. والصبور. والكريم. والرؤف. والجواد. والشكور.

ومنها صفات تختص بالقدرة. كالقوي. والغالب. والقاهر. وذي القوة المتين. والقادر. وما هو من هذه الأسماء.

****

القسم الثالث من هذه الأسماء: وهو راجع إلى صفة أفعاله. وهو ما يقال إنه غيره والاسم فيها غير المسمى، وذلك كل ما دلت التسمية به على صفة فعل من الأفعال. كباريء. ومصور. وخالق. ووهاب. ومحيي. ومميت. ورازق. وباسط. وقابض. ورافع. وخافض. ومعز. ومذل. وحكم. وعدل. ومحسن. ومفضل. وفتاح. وباعث. ورقيب. ووارث ومجيب. وكاف. ومقيت. ومعافي. وشاف. ومعطي. ومانع. ووكيل. وواسع. ومقسط. وجامع. وضار. ونافع. ومبديء. ومعيد. وهادي. ورشيد. ومقدم. ومؤخر.

وتواب. وبار. ومنتقم. ومعين. وولي. ومبين. وما هو من هذه الأسماء.

القسم الرابع من أسمائه: وهو راجع إلى صفة التنزيه. ويقال أنه هو هو والاسم والمسمى فيها واحد. كأسماء الذات. وذلك كل ما دلت التسمية به على نفي النقائص كلها عنه جل وعز. كعزيز وجبار. ومتكبر. وكبير. ومولي. ومتعال. وذي الجلال والإكرام. وجليل. وعظيم. وعلي. ومؤمن. ومهيمن. وغني وقدوس. وسلام. وما هو من هذه الأسماء.

وهذا الاسم المفرد جل ذكره. وهو جامع لجميع الأشياء كلها وهي كلها شارحة له ومشيرة إليه. ومعبرة عنه. والعالم كله علويه وسفليه. بما فيه من عجائبه وغرائبه صادر عنه. وهو على قسمين. عالم أمر. وعالم خلق. وعالم الأمر. وهو الحاكم على عالم الخلق. إذا كان يلي اسم الألوهية في المرتبة العليا. وكل ما عبر عنه باسم الألوهية فهو والأسماء كلها لا

تغاير فيها من حيث أنها أسماء، وإنما التغاير في مقتضياتها. وفي المفهوم من ذلك حسب قوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠] وإن تعددت الأسماء فالمقصود منها واحد. وهو الله. وكل الأسماء هي صفته ونعته. وهو أولها وأصلها. والأسماء كلها سرت في العالم سريان الأرواح في الأجسام، وحلت منه محل الأمر من الخلق، ولزمته لزوم الأعراض للجواهر. فإنه ما من موجود دق أو جل. علا أو سفل. كثف أو لطف. كثر أو قل. إلا وأسماء الله جل وعز ذكره محيطة به عينا ومعنى. ومقتضى اسم الألوهية جامع لجميعها. كالأسماء المحيطة بالعوالم المنقسمة إلى أمر وخلق، وكان لها مقام الروح من الجسد.

ومن لطف الله تعالى أن أظهر من علمه وقدرته بهذا الاسم ما احتملته عقول خلقه. ليصل حبله بحبلهم، وبفضله

فطرتهم التي فطرهم على معرفته. فأشهدهم مشاهدتهم. فشهدوا بها على أنفسهم حين ألست[١]. ثم أشهدهم الآن مشاهدتهم حال وجودهم بأن أظهر لهم من أسمائه اسمه الأعظم:

الله

وعرفهم به من أجله، وخفف ذكره على ألسنتهم. وأجراه دائما وسهله عليهم. وأظهره لهم ظهورا بينا في ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فمن شدة ظهوره خفي حتى لم يوصف. ومن كثرة ذكره نسي حتى لم يعرف. فبه تستقيم الأمور. وبذكره يسهل العسير. وتقضي الحوائج وسائر الآراب.

---

(١) ألست: الألس: الخداع والخيانة والغش والسرق، والألس: ذهاب العقل وتذهيله، والمصنف رحمه الله، يشير إلى العهد الذي أخذه الله على ذرية آدم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف: ١٧٢]

ويبتدأ به مناولة جميع الأسباب. وهو الذي لم يسعه سماء ولا أرض. ولا عرش. ولا كرسي. سوى مشيئته. ومن شاء من قلوب من سبقت لهم منه الحسنى. وبقدر ما أودع الله تعالى منه في قلوب عباده المخلصين المختصين المشرفين بإضافة عبوديتهم إليه، وبكبر قدره. ويكشف لهم منه سره. تعالت أسماؤه. وجلت صفاته. وعظمت ذاته. قال الشاعر:

هُوَ الْحَيُّ وَالْقَيُّومُ جَلَّ جَلاَلُهُ
فَعَظِيمُ عُظْمِ الْكِبْرِيَاءِ رِدَاهُ
أَغْنَى وَأَقْنَى وَاسْتَنَارَ بِنُورِهِ
كُلُّ الْكَيَانِ فَجَوُّهُ فَسَمَاهُ
فَالأَرْضُ مُشْرِقَةٌ بِنُورِ جَمَالِه
وَالْفَضْلُ مُنْفَطِرٌ بِهَدْيِ هُدَاهُ
أَللّٰهُ أَللّٰهُ الْعَظِيمُ مُمِدُّنَا
بِقُوَى يُبَلِّغُنَا الْعُلُومَ اللّٰهُ

واعلم أن جميع صفات الله تعالى هي صفة الألوهية ونعت لها، ولا يقال فيها إنها هو. ولا هو هي. ولا غيره. لأن الله تعالى واحد قائم بذاته. مستغن عن غيره بصفاته. وصفاته مطلقة قديمة قائمة به. غير متناهية بحسب قدم ذاته. وعدم تناهيه. وهو واجب الوجود بنفسه. وواجب له الاستغناء واستحال عليه الاحتياج. لم تزل صفاته موجودة معلومة قائمة به. ولا يجوز وجوده سبحانه. وعدم شيء من صفاته. ولا وجود صفاته. وعدم ذاته. ولامباينته لشيء منها ولا مغايرته عنها على وجه من الوجوه. لوكان هو هي لكانت الذات هي الصفات. والصفات هي الذات. ومن المحال أن تكون الصفة دالة على غير الموصوف. أو تعري إحداهما عن الأخرى. لأن الصفة هي المعنى والموصوف هو الذات وموصوف بلا صفة محال. وصفة بلا موصوف أيضا محال. ولو كانت أيضا هي هو للزم أن تكون الصفة هي الموصوف كما ذكر. ودل أيضا على إثبات الصفة ونفي الذات عن

صفاتها. أو خلو الصفات عن ذاتها. أو تجرد إحداهما من الأخرى. ومن شرط الذات لزوم الصفات. ومن شرط الصفات لزوم الذات. فإن الصفات لا تقوم بذواتها، ولا بأنفسها، ولا تستغنى عن الموصوف، كما أن الذات لا تفارق صفاتها. ولابد من قيام إحداهما بالأخرى ضرورة واجبة. وحقيقة لازمة. لا تنفك عنها كتعلق الشرط بالمشروط. وفي بطلان أحدهما وعدمه بطلان الآخر ونفيه. وفي إثبات أحدهما ووجوده إثبات الآخر ووجوده، لأنه لا يتصور وجود حياة إلا في حي. ولا وجود علم إلا في عالم. ولا وجود إرادة إلا في مريد. وكذلك القدرة والسمع والبصر والكلام وسائر الصفات لا تعقل إلا في موصوف، ولو كانت هي غيره لكان لا يخلو إما أن تكون زائدة على الذات أو لا. فإن كانت زائدة عليها فلا يخلو. أما أن تكون قائمة بذاتها أو بغيرها. فإن كانت قائمة بذاتها فإما أن تكون قديمة أو محدثة. فلو كانت الصفة زائدة على الذات لكانت محلا للحوادث.

ووجب لها ما يجب للحوادث من لزوم التغيرات، وإن كانت لا زائدة. فإما أن تكون نفس الذات وعينها. أو غير الذات. فمحال أن تكون نفس الذات وعينها، لما يلزمها من أن تكون هي هو. وإن كانت غير الذات. فإما أن تكون قائمة بذاتها. أو قائمة بغير. فمحال أن تكون قائمة بذاتها. وذلك لتعلق القديم بالقديم. مع المباينة والمغايرة. وليس ذلك من شرط التوحيد. ولو كانت أيضا محدثة لم تخل من ثلاثة أحوال: إما أن تكون حدثت في ذات القديم. أو في غيره. أو في ذاته. فلو حدثت في ذات القديم لكان متغيراً لحدوثها عن صفات كان عليها، ولقامت به تغيرات من صفات إلى صفات، ودلت الدلالة على الحدث. لأن ذلك من صفات الأجسام المحدثات. ولو حدثت أيضا هذه الصفات في غيره لوجب أن يتصف الموصوف بصفة في غيره. ولو إتصف الموصوف بما في غيره من الصفات لوقعت المساواة بين سائر الموصوفين من قديم ومحدث. ولاستحالة أن يوجد في العالم

مختلف الصفات، لأنه كان يكون كل جسم حيا. وعالما. ومريداً. وقادراً. وبما قام بغيره من سائر الصفات. ويتصل ذلك بأن يكون ما وجد بالمحدث من الصفات هي صفات القديم. وكذلك ما وجد بالقديم من الصفات تكون صفات المحدث. موجوبا له ما يوجب له من الأحكام. فاستحال أن تكون صفات الله تعالى موجودة لا في ذاته لأن الصفات لا تقوم بذوات أنفسها ولا تستغنى عن الموصوف. لأنه لا يتصور في ضرورة العقل وجود صفات إلا في موصوف. فكما وجب للصفة القديمة القدم في الأزل، كذلك وجب لها البقاء فيما لم يزل. لاستحالة التغيير على الموصوف القديم. واستغنائه بصفات الكمال والتنزيه والإجلال. فإن صفاته سبحانه ليست غيره ففصلها منه. ولا هي هو فأفردها بالذكر عنه دون نسبتها له. وهي لاهي هو. ولا هي غيره. والفرق بين صفة القديم وبين صفة المحدث أن صفة المحدث تقدم من ذاتها عند وجود ضدها بتغيرها. كعدم الحركة عند وجود

السكون . ومثله ضده في جميع الصفات . والقديم لا يجوز عدمه . ولا عدم شيء من صفاته . ولا يجوز عليه التغيير. وهو متنزه عن الأضداد والأنداد . وعن صفات المحدث .

وكذلك الفرق بين الوجود المطلق . والوجود المقيد . فالمقيد لا يخلو من الصفات العرضية، كالحركة والسكون . والموت والحياة . والجهات والحدود . والاجتماع والافتراق . والتغير بالأضداد . وما لا يخلو من الحوادث ولم يسبقها فهو حادث مثلها، وكل الحوادث لابد لها من محدث يحدثها . وهو ليس كمثلها ولا يشبهها . فلو كان مثلها وشبهها لوجب له ما يجب لها، ولجاز عليه ما يجوز عليها واحتاج إلى محدث، ويتسلسل وما يتسلسل لا يتحصل . والموجود المطلق هو المنزه عن التغييرات العرضية السلبية الموصوفة بالصفات الثبوتية الدائمة الأزلية . ولو جاز عدمه لبطل قدمه . وصفاته سبحانه صفات الكمال والعز والاستغناء والجلال الذي لا يليق إلا به ولا يمكن الحمل فيها . وأنه الواحد الذي لا

يقبل التجزئة. ولا التأليف. ولا التركيب. وأنه القديم الأزلي، الدائم الذي لا أمد لمداه، ولا غاية لمنتهاه. الغني المطلق الذي لا يتوقف غناه على غيره. كما لا يتوقف وجوده على غيره، فلا يحتاج في ذاته ولا في كماله ولا في صفاته ولا في استغنائه ولا في فعله إلى أحد سواه. فصح عند العقلاء بالبرهان العقلي، وثبت عند العلماء بالبيان النقلي أن صفات الله تعالى قديمة أزلية منزهة قائمة بذاته القديمة العلية، المختصة بمطلق الوجود، المنزهة عن صفات الانحصار والقيود، المقدسة عن جنس الكيفيات والجهات والحدود. وهو المنفرد بالأحدية، المنعوت بالصمدية الذي لا يتبعض وجود أحديته في الوهم. ولا يتحيز في الفكر ولا يتكيف بالعقل. ولا يتخيل في الذهن. ولا يتمثل في النفس الموصوف في ذاته وصفاته. بصفة الاستغناء والكمال، والقدرة والتعظيم والجلال. تنزه عن كل شيء محدث مقيد. ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ [الإخلاص]

قال الشاعر:

تَبَارَكْتَ يَامَنْ لا يُحَاطُ بِوَصْفِه
فَمَا قَدْرُ قَوْلِي وَاللِّسَانُ كَلِيلٌ
بِحَقٍّ لَقَدْ نُزِّهْتَ قِدْمًا فَمَنْ لَنَا
بِإِدْرَاكِ وَصْفٍ وَالْمَرَامُ طَوِيلُ
وَلَوْ كَانَتِ السَّبْعُ الْبِحَارُ مُمِدَّةً
لِوَصْفِكَ لَمْ يُوجَدْ لِذَاكَ سَبِيلُ
فَأَنْتَ كَمَا نَزَّهْتَ نَفْسَكَ وَالَّذِي
يَفُوهُ بِهِ فِيكَ الأَنَامُ قَلِيلُ

واعلم أن جميع أسمائه وصفاته لا يدخله الترتيب بقبل ولا بعد، ولا بأول ولا بآخر، ولا يتوقف بحد ولا زمان، ولا يوصف بالتعقيب ولا بالتقديم ولا بالتأخير. فقوته كنه قدرته. وقدرته دوام بقائه. ومشيئته إرادته. ونظره سعة علمه. وعلمه مدى نظره، وكلامه مطلق لا على الترتيب.

فيعلم بنظره، وينظر بعلمه، خزائنه في كلامه. وقدرته في مشيئته. يخلق بيده إذا شاء، وبكلمته إذا شاء، وبإرادته متى شاء، وبمعاني صفاته كيف شاء، ولا يضطر إلى الكلام، ولا كلامه إليه. فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وصارت الأوائل والأواخر لديه كشيء واحد، وليس هي هو. ولا هي غيره. وقوله هو أمره، وأمره هو كلامه، وكلامه نور وهدى وشفاء ورحمة وفرقان وقرآن. وهو صفة له قديمة. والأمر غير الخلق. وقوله الحق. وله الملك. والأمر. والخلق جميع المخلوقات. وأمره هو قوله كن. وبكن كانت جميع المكونات من المخلوقات. وبأمره كن كانت جميع المحدثات كلها. وصدرت منه. ووجدت عنه. وقوله: ﴿ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ [سورة الروم: ٤] أي قبل الخلق. ومن بعد الخلق كان أمره. والأشياء كلها إنما ظهرت عن كلامه، والكلام هو الأمر، وهو صفة ذاتية قديمة. وصفاته كلها آحاد كاملات تامات، غير محدودة، ولا مؤقتة، ولا مرتبة كالأوقات المرتبة. إذ

الترتيب في النعوت من وصف الخلق والأدوات. والله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء في كل الصفات، صفاته قديمة بقدمه. وكائنة موجودة بعيانه. وليست هي ذات جهات فيتوجه بها إلى جهة دون جهة، ويدرك بصفة دون صفة، ولا ذاته ذات ذوات فيقبل على مكان دون مكان، ولا يضطره الترتيب إلى المخلوقات، ولا يتفكر في الأمور بأفكار محدثات فيشغله شأن عن شأن، ولا تدخل عليه الأعراض فيتغير عن مكان، ولا يخلق بآلة فيستعين بسواه، ولا تعجزه قدرة فيحتاج إلى مباشرة يديه، لا يدركه الجهل لعلمه، ولا الفقر لغناه، ولا الذل لقدرته، ولا الضعف لقوته، ولا الفناء لبقائه، ولا التعب لصلاح قدرته، ولا الملل لفعله، ولا الكسل لصنعه، ولا البدء لمشيئته، ولا التغير لصفاته، ولا العرض لذاته، ولا النقص لكماله سبحانه جلت قدرته. قال الشاعر:

سُبْحَانَ مَنْ جَلَّتْ صِفَاتُ كَمَالِهِ

لِكَمَالِهِ وَجَمَالِهِ وَجَلَالِهِ

يُعْطِي وَيمْنَعُ وَالْمحَامِدُ كُلُّهَا
فِي مَنْعِه وَعَطَائِهِ وَفِعَالِهِ
وَالْعَبْدُ مَحْجُوبُ التَّصَرُّف جُمْلَةً
مَعْبُودُهُ أَوْلَى بِهِ وَبِمَالِهِ
لاَ يَسْتَفِيدُ وَلاَ يُفِيدُ لِنَفْسه
أَحَدٌ لِنَقْصِ حَيَاتِهِ وَمِثَالِهِ

فالحق سبحانه إذا تكلم أظهر، وإذا شاء قدر، ومتى أحب ظهر، وبأي قدرة شاء استقر. هو عزيز في قربه، وقريب في علوه. حجب الذات بالصفات، وحجب الصفات بالأفعال. وكشف العلم بالإرادة، وأظهر الإرادة بالقدرة، وأبرز القدرة بالحركات، وأخفى الصنع في الصنعة، وأظهر الصنعة بالأدوات. وهو باطن في غيبه وظاهر بحكمته. وقدرته غيب في إرادته. وإرادته حكمته. وحكمته شاهدة لمحكوماته. وهي مجاري قدرته. ومنعه سر في صنعته. وهو علانية مشيئته. ليس له شبه في كل صنعة. ولا له مثل في كل ماهية.

وفي هذا الاسم المفرد المتصف بالألوهية أربعة أحرف: ألف ولام ولام وهاء. كما قيل:

أَحْرُفٌ أَرْبَعٌ بِهَا هَامَ قَلْبِي
وَتَلاَشَتْ بِهَا هُمُومِي وَفِكْرِي
أَلِفٌ قَدْ تَأَلَّفَ الْخَلْقَ بِالصُّنْـ
ـعِ وَلاَمٌ عَلَى الْمَلاَمَةِ تَجْرِي
ثُمَّ لاَمٌ زِيَادَةٌ فِي الْمَعَانِي
ثُمَّ هَاءُ بِهَا أَهِيمُ وَأَدْرِي

ولكل حرف من هذه الأحرف معنى يختص به، كما أن لكل اسم من أسمائه تعالى معنى يختص به. فالألف مشتق من الألفة والتأليف. ألف به جميع خلقه على توحيده ومعرفته بأنه إلههم وموجدهم وخالقهم ورازقهم. قال الله العظيم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [سورة الزخرف: ٨٧]. ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾

[سورة لقمان: ٢٥، والزمر: ٣٨] فإنه تعالى كان ولا شيء معه كما هو الآن على ما عليه. كان ولا شيء قبله. ولا شيء بعده. فكأنه كما قال: ﴿ كُنْتُ كنزًا لَمْ أُعْرَفْ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُعْرَفَ، فَخَلَقْتُ خَلْقًا فَعَرَّفْتُهُمْ بِي، فَعَرَفُونِي ﴾ وألف بين قلوب عباده على محبته وعبادته وطاعته في الإيمان والتوحيد. قال الله تعالى: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) ﴾ [سورة الأنفال] وألف كلمتهم على الاعتراف بعبوديته. والإقرار بوحدانيته وربوبيته. قال الله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) ﴾ [سورة مريم]

قال الشاعر:

تَبَارَكَ مَنْ فَخْرِى بِأَنِّى لَهُ عَبْدُ
وَسُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَلاَ مُلْكَ إِلاَّ مُلْكُهُ عَزَّ وَجْهُهُ
هُوَ الْقَبْلُ فِى سُلْطَانِهِ وَهُوَ الْبَعْدُ

وألف قلوب عباده بالفضل والإحسان والعطاء، وجعله رزقا مقسوما لهم. تارة قبضا. وتارة بسطا. قال الله العظيم: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) ﴾ [سورة الذاريات] والألف أيضاً هي استفتاح لحروف المعجم. التي هي دلالته على معرفة للمعاني ومفهومها. وهي كسوة لها. وصورة تدل عليها غير حالة فيها، ووضعت المعاني ولم توضع المعاني للحروف. لأن معناها في غيرها. والمعاني معناها في مفهومها مقام الأرواح. والأحرف مقام الأشباح. فجعلها الله صورا وأصدافا. فالحروف لسان فعل الإنسان، لأنها فعل في مفعوله. ومعانيها علوم في معلوم.

واعلم أن الألف هو أشرف حروف المعجم خطراً. وأعظمها أمراً. وأرفعها قدراً. وهو آدم الحروف. والهمزة منه حواء. والمذكر من الكلام ولد. والمؤنث بنت. والثمانية والعشرون حرفا متولدة من الألف. كجميع بني آدم من آدم،

to: www.al-mostafa.com

والحروف كلها من الألف . والأصل الألف قائم منتصب مستو معتدل . ونقطة أصله إشارة لإثبات أولية الوجود، الذي هو ضد العدم . وهو المصطلح عليه عند أرباب أصول الدين بالجوهر الفرد الذي هو عبارة عن إثبات موجود . فلما أرادت أن تسمى باسم الألف بعد تسميتها بصفة الوحدة . امتدت للتجلي والظهور . ونزلت نزول الأعلى إلى الأدنى . لتعرف وجود ذاتها بنفسها . فصارت ألفا . وسميت بذلك لتوقف عوالم الحروف فعرف بالألف . فإنه روي أنه أول ما خلق الله تعالى نقطة فنظر إليها بالهيبة فتضعضعت وسالت فسيلها ألفا . وجعلها مبتدا كتابه . واستفتاح حروفه . فكان أولا استفتاح الحروف به لصدورها عنه . وظهورها به . فكانت النقطة كنزا لم تعرف، فتجلت ونزلت لتعرف بهم . ويعرفون بها . وينسبون إليها، كما أن آدم عليه السلام خلق استفتاحا لذريته وأولهم . وعرفوا به، ونسبوا إليه فكانت الحروف أسراراً أودعها الله تعالى وبثها في آدم حين خلقه . ولم يبثها في أحد

من الملائكة فجرت الأحرف على لسان آدم بفنون اللغات وأنواع الكلمات، ولها ظاهر وباطن، وحد ومطلع . فظاهرها أسماؤها وصورها، وباطنها معانيها وأسرارها، وحدها تفصيلها وأحكامها، ومطلعها شهودها وكشفها. فكل تركيب وتولية هو من الألف لتناول الحروف من فوائد أسرار المعاني على حسب نفخه روح جوامع الكلم وعجائب الحكم وغرائب العلم. وصورة الألف هو السر الذي تميز به آدم عليه السلام، وتخصص بسببه من تعليم الحق له جميع الأسماء كلها.

واعلم أنه من كشف له عن معرفة سر الألف وتحقق به فقد خص بمعرفة سر توحيد الوحدانية، وترقي إلى مقام معرفة سر وحدة الأحدية، ومن كشف له عن معرفة سر اللام المنسوب إلى الألف وتحقق فيه فقد خص بمعرفة سر الرسالة النبوية. وما أحاط بمعرفة أسرار جملة الحروف على الحقيقة والكمال بعد آدم سوى نبينا محمد ﷺ وعلى آدم وعلى ما بينهما من

جميع النبيين والمرسلين. ولذلك خص بإعطاء جميع حروف المعجم، وما حوته من جميع المعاني والعلوم والحكم. فقال: «**أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ**» وقد يتحف الله سبحانه وتعالى من شاء من عباده ويخصه، ويكشف معنى سر حرف واحد أو حرفين أو أكثر على قدر تخصيصه وقسمته في الأزل فيتصرف بذلك في كل ما يريد من أمور دينه أو دنياه. وتفعل له الأشياء على حسب تمكنه وإحاطة علمه وسعة معرفته. وتكون له خاصية يمتاز بها. وفي حقه كرامة أكرمه الله بها. فإن لكل حرف من الحروف سر عجيب، وعلم غزير نافع مصيب، تكشف به مغلقات الخطوب، وتبلغ به جميع المراد والمطلوب. وتكشف به ملكات بديعة، وتصرف به أمور شريفة يعرفها الحكماء العقلاء، ويعرفها العلماء النبلاء. والألف في العدد واحد، والواحد استفتاح لجميع العدد وأوله. وفيه إشارة إلى عمود التوحيد الذي به قوام كل عالم في الوجود، فكما كان الله سبحانه وتعالى هو واجب الوجود. الأول الموجود ولا شيء قبله في الوجود، وسبقت أحديته

جميع ما سواه. كذلك الألف سبق واحد الأعداد وما بعده وليس شئ قبله. فإن ابتداء الألف نقطة واحدة منفردة. وهي عبارة عن مركز قطب دائرة وجود عوالم الحروف. كذلك نقطة وجود وحدة الموجود الذي صدر عنه وجود العالم بأسره، وبها تستقيم دائرة العدل على القوام؛ وهي أيضاً عبارة عن إثبات الوجود الذي هو ضد العدم، ويعبر عنها بالجوهر الفرد الذي لا يجوز عليه الانقسام ولا حصر العدد، وهو محل قابلية للتهيئ كالهيولي لجميع حروف صور الأشكال المحسوسة. ووضع الدلالة على إدراك تصوير معاني المعقولة. وهي أيضاً إشارة لاسم وحدة التوحيد الذي لا يجوز فيه اشتراك مع عقد التقليد. ولهذا كان الإنسان الآدمي ألف القوام قائماً معتدلا منتصبا. حسن القد والقامة على الاستقامة، مخصوصا بالتشريف والتكريم، ممدوحا مثني عليه بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[سورة التين] وقد شرف وفضل على أكثر المخلوقات حسبما ذكر الله

في كتابه المبين قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧٠) ﴾[سورة الإسراء] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) ﴾[سورة البينة] فمن أشرف المخلوقات وأفضل الموجودات وأكرم المحدثات فمن تشريفه وإكرامه وتفضيله وإعظامه أن جعل الله تعالى مجمع البحرين بحراً سفلياً ظلمة الشهوات الحيوانية، وبحراً علوياً نور العقل النوراني وركبه في عالمين: عالم الأمر الروحاني، وعالم الخلق الجثماني، وجمع له في الركعة الواحدة من عمل جميع عبادة الملأ الأعلى من الملائكة أهل السبع سموات سبع أنواع من عبادات. و جعل ثوابهم عليها عائدة إلى الآدمي بتضعيف زيادة، فمنهم قائمون أبداً، ومنهم راكعون أبداً، ومنهم ساجدون أبداً، ومنهم جلوس أبداً، ومنهم مهللون أبداً، ومنهم مسبحون أبداً، ومنهم حامدون أبداً، فهم لله عابدون دائماً أبداً لا يفترون. قد خلقوا مطهرين منزهين علويين

روحانيين، نور بلا ظلمة، وعقل بلا شهوة، ولطف بلا كثافة، ودوام بلا فترة، ونشاط بلا سآمة، وطاعة بلا مخالفة، وعبادة بلا حظ، وإخلاص بلا عوض، وخدمة بلا علاقة، وجمع بلا تفرقة، وجعل هذا البشر برزخاً قائماً مستوى الخليقة بين عالمي النور والظلمة، فأيهما كان الغالب عليه نسب في الحقيقة إليه. فسبحان من ألف بين الضدين وجمع إليه صفات العالمين في هذا الآدمي الكريم، وجعل محل عقله ومعارفه وتوحيده ومحبته وأسراره قلبه السليم. فهو الصراط المستقيم، والبرزخ المعتدل القويم. بالألف ألفه ووصله وجمعه وفرقه وفصله وقطعه. ألف كتابه بنقطة، وخلق خلقه من نقطة، ويميتهم بقبضة، ويحييهم بنفخة. قال الشاعر:

إِنَّ الأُلَيْفَ لَهُ فَضْلٌ وَتَقْدِمَةٌ
عَلَى الْحُرُوفِ فَلاَ تَبْغِي بِهِ بَدَلاَ
فِيهِ الْعُلُومُ خَفَتْ مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ
قَدْ جَلَّ مُنْفَرِدًا بِالْحَقِّ وَاعْتَدَلاَ

هُوَ قَائِمٌ أَبدًا ، هُوَ وَاحِدٌ عَدَدًا

شَكْلُ الأُلَيْفِ حَوَى التَّفْصِيلَ وَالْجُمَلاَ

حَرْفٌ وَمَعْنَى هُمَا بِالسِّرِّ قَدْ جَمَعَا

أَصْلاً وَفَرْعًا بِمَا بِالْوَصْلِ قَدْ وَصَلاَ

فَاعْرِفْ سَرَائِرَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا أَرَبٍ

وَاحْفَظْ دَقَائِقَهُ تَعْلُو بِهِ نُزُلاَ

وَمِثْلُهُ مَنْ حَوَى طَبْعًا وَمَعْرِفَةً

رُوحًا وَجِسْماً لَهُ وَصْفٌ سَمَا فَعَلاَ

كَالْعَقْلِ مِنْ مَلَكٍ وَالطَّبْعِ مِنْ نَعَمٍ

يَا حُسْنَ مَنْ عَلِمَا ، يَابُئْسَ مَنْ جَهِلاَ

واللام الأول إشـارة إلى لام الملك . هو بعد حذف الألف عن كمال الاسم المفرد صار «لله» قال الله تعالى : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾

[سورة البقرة: ٢٨٤] الآية: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ١٢] وقال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾[سورة المؤمنون: ٨٤:٨٦] وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً (١٣١) ﴾ [سورة النساء] وقال: ﴿ أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ [سورة يونس: ٥٥] وقال: ﴿ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ وفي هذه الآيات وأمثالها إشارة وإنباء إلى لام الملك. وهو أيضاً لام لوح العقل والفهم لمن شرح الله صدره، وخص قلبه وسره، ونور معرفته بنور اليقين في تحقيق مشاهدته، وهو أيضاً لام لوح النبوة والرسالة لاتساع الصدر وشرحه. وتنويره بمعرفة أسرار الوحي. وحمل أعباء حكم التنزيل وأحكامه.

واللام الثاني هو إشارة إلى لام الملك وذلك بعد حذف

اللام الأولى صار «له» قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦ ﴾ [سورة الزمر] وقال الله تعالى: ﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [سورة الزخرف: ٨٥] وقال: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٤٠ ﴾ [سورة المائدة] وقال تعالى: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨] وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [سورة التوبة: ١١٦] وقال: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٤٤ ﴾ [سورة الزمر: ٤٤] وقال: ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ ﴾ [سورة الأنعام: ٧٣]، وفي هذه الآيات وأمثالها إشارة وإنباء إلى لام الملك. فهو الملك، والمالك، وله ملك السموات والأرض وما بينهما وما فيهما من العوالم كلها علويها وسفليها. قال الشاعر:

سِرُّ الأُلَيْفِ سَرَى فِي اللاَّمِ مُتَّحِداً
فَافْحَصْ عَلَيْهِ وَلا تَنْظُرْ إلَى الصُّوَرِ
سِرُّ الْمعَارِفِ فِي اللاَّمَيْنِ مُجْتَمِعًا
كَالشَّمْسِ طَالِعَةً وَالْفَجْرِ فِي سَحَرِ
وَاللاَّمُ تُخْبِرُ أَنَّ الْخَلْقَ فِي طَرَفٍ
مِنَ الأُلَيْفِ بِلاَ رَيْبٍ وَلاَنُكْرِ
فَاطْلُبْ وَجِيزَةَ مَا فِي اللامِ مِنْ حِكَمٍ
وَافْهَمْ مَعَانِيَهَا إنْ كُنْتَ ذَا نَظَرِ
تَجِدْ حَقِيقَةَ مَا قَدْ كَانَ مُسْتَتِراً
كَنْزاً عَظِيماً خَفَى عَنْ سَائِرِ الْبَشَرِ

والهاء هي هاء الإشارة إلى مطلق وجود الحق وإثبات وحدانيته وإحاطته بجميع الأشياء كلها علما وإرادة وقدرة وملكا وملكا. وهي من هاء هيبة البهاء. وعظمة الألوهية.

وذلك بعد حذف الألف واللامين بقى « لا » قال الله تعالى : ﴿ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠) ﴾ [سورة الرعد] وقال : ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [سورة الأنعام : ١٩ ، وسورة النمل : ٥١] و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [سورة : الإخلاص] وقال : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) ﴾ [سورة الحديد] وقال : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) ﴾ [سورة الحشر] وقال : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾ [سورة الحشر: ٢٣] الآية وقال : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ [سورة الحشر: ٢٤] الآية وفي هذه الآيات وأمثالها إشارة وإنباء إلى هاء الوترية. وإفراد الألوهية. وإلى اسم مضمرَ يبينه ما بعده عند أهل الظاهر. لاحتياجه إلى صلة تعقبه. ليكون الكلام الذي أفاده عندهم. وأما عند أهل التحقيق فالمضمر لا يظهر لأنه أعرف المعارف. لاستقرار العلم به في القلب على الحقيقة على ما هو به حقاً من صفاته. فإن ذكر « هو » عندهم لم يسبق منه إلى فهمهم غير

ذكر الحق فيكتفون به عن كل بيان يتلوه. وذلك لتمكن معرفتهم. وسعة علمهم. وقوة إدراك فهمهم. واستكمالهم في حقائق القرب. واختصاصهم بصفاء ضمائر القلب. واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم. واستغراقهم بإفراد الاسم المفرد في أذكارهم. فإن هجاء «هو» إذا مكنت الضمة من الهاء حرفان. هاء وواو. فالهاء تخرج من أقصى الحلق. وهي من حروفه. والواو تخرج من الشفة. فهو مجموع من بين ابتداء أول المخارج وانتهاء آخرها. وفي ذلك إشارة إلى إثبات وجود موجود معلوم. الذي هو ضد النفي المعدوم. وتنبيه إلى ابتداء كل حادث منه وانتهائه إليه. وليس له هو ابتداء. والهاء هي من حروف الحلق التي لا تنطبق عليها اللهوات، ولا تنضم عليها الشفتان.

وهو أيضاً أول الأسماء الحسنى وآخرها، وبه كمال المائة اسم فإنه مضمر مستتر في نفس الهاء المكتوبة أعني «الله». فإن بالهاء يتم ذكر الله. فأول الاسم المفرد ألف وآخره الهاء،

وبه كمال ومفهوم بيانه وتمامه، وبه يستفتح الدعاء والذكر وهو أول الأسماء الحسنى وآخرها. فأولها ياألله. وآخرها يا هو(١). فهذا الاسم هو الأول وهو الآخر، بدأ به وختم به.

وقد ذكره سبحانه وتعالى في جملة آيات من كتابه فقال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ وقال: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠] وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الآية: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ

(١) لم يثبت بالكتاب أو بالسنة الصحيحة، أو المأثور عن الصحابة رضى الله عنهم، أن «هو» من أسماء الله الحسنى فضلاً عن أن يكون أولها أو آخرها، ولا تمام المائة كما ذكر المصنف. وإنما لفظة «هو» عرفها أهل اللغة أنها ضمير للمفرد المذكر الغائب (منفصل)، وإذا قصد به الذات فإنه يأتى لتأكيد وجود الله عز وجل، ويتحتم وجود اسم للذات بعده، كقولك: هو الله، هو ربى، هو الرحمن، هو الأحد، هو الصمد، وهكذا، وآيات القرآن الكريم تؤكد هذا المعنى. وقد نزل القرآن عربيًا مبينًا ليخاطب فى تحد بالغ أهل العربية.

الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾ [الحشر].

هُوَ أَوَّلٌ هُوَ آخِرٌ هُوَ بَاطِنٌ هُوَ ظَاهِرُ
هُوَ وَاحِدٌ هُوَ مَالِكٌ هُوَ عَالِمٌ هُوَ قَادِرُ
هُوَ خَالِقٌ هُوَ رَازِقٌ هُوَ عَادِلٌ هُوَ آمِرُ
هُوَ حَاكِمٌ هُوَ صَادِقٌ هُوَ مُخْبِرٌ هُوَ ذَاكِرُ
هُوَ مُحْسِنٌ هُوَ مُتَفَضِّلٌ هُوَ رَاحِمٌ هُوَ غَافِرُ

وذكر عن بعض الأئمة من العارفين أنه كان لا يدعو إلا به ولا يسأل الله شيئاً إلا به. فيقول يا هو ياهو. يا من لا يعلم ما هو إلا هو. أسألك كذا وكذا.

وروى أن أبا القاسم الجنيد رحمه الله تعالى قال لبعض خواص أصحابه: إن اسم الله الأعظم هو « هو » لأن الله تعالى أظهره أولا في اسمه الله. وأخفاه آخراً في هاء اسمه الله. فهو هو. فمن شدة ظهوره استتر وخفى حتى لم يعرف. ومن كثرة ذكره ظهر ونسي ولم يوصف.

ولقد ذكر بعض العلماء بالله المحققين في معرفة هذا الاسم المفرد: أن من ذكر الله سبحانه ولم يحقق إظهار الهاء منه بتمكين حركة ضبطها فليس بذاكر لله. ولا ذكر الله قط. وجعل إظهار الهاء شرطا واجبا لازما في ذكر الله في حالة الذكر والتكبير في الصلاة في الأذان والتلاوة، وكان بعض الشيوخ ممن يقتدي به في علم الشريعة وفي علم الحقيقة ظاهراً وباطناً يقول لأصحابه: من أصابته منكم شدة أو صدمته محنة فليقل: «الله الحي القيوم» فإنه الاسم الأعظم(١).

وروي أن أهل التوحيدأربعة أصناف في ذكر توحيدهم الواحد.

الصنف الأول: «لا إله إلا الله» بين النفي والإثبات. نفي الأوهام عن الأفهام، وإثبات الواحد عن الضد والند.

(١) راجع التعليق (١) صفحة (٤٦).

والصنف الثاني: قالوا: «الله» اقتصروا على ذكر الاسم المفرد من غير نفي إثبات في إثبات. ورأوا أن الإثبات بعد النفي وحشة وجفاء.

الصنف الثالث: قالوا: «هو هو» حق بحق إثبات الإثبات، وهو الذكر الدائم الخفي عن اللسان، وهو ذكر القلب.

الصنف الرابع: خرسوا فلم ينطقوا، وفنوا به عنهم، وغابوا على ذكر التوحيد بمشاهدة المذكور الواحد، فكان ذكر توحيدهم عيانا لا لسانا.

وذكر أن أهل المعرفة في هذا الاسم على أربعة أصناف أيضاً: فعارف قال: الله، وعارف قال: هو. وعارف قال: أنا(١)، وعارف بهت. قال الشاعر:

(١) قلت: هذا الصنف هم غلاة المتصوفة الحلولية.

صَحَّ الْوُجُودُ لَهُ شَرْعًا وَمَعْرِفَةً

إِنَّ التَّحَيُّرَ فِي دَعْوَى تَطَلُّبِهِ

فَاللهُ مُوجِدُنَا مَوْجُودُنَا أَبَدًا

وَالْعَبْدُ مُفْتَقِرٌ فِي حَقِّ مَطْلَبِهِ

فَاذْكُرْ سِوَاهُ بِهِ تَذْكُرْهُ مَعْرِفَةً

فَاللهُ أَجْلَى وُجُودًا وَالْوُجُودُ بِهِ

وَالْعَبْدُ لَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ أَبَدًا

إِلاَّ انْصِرَامٌ وَتَشْبِيهٌ لِمُشْتَبِهِ

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى الْمَذْكُورِ تَذْكُرُهُ

أَهْلُ الْمَذَاهِبِ كُلٌّ عِنْدَ مَذْهَبِهِ

فَالصَّمْتُ ذِكْرٌ لَهُ فَاذْكُرْ كَذَاكَ وَذَا

ذِكْرٌ لَدَيْهِ، فَإِنَّ الذِّكْرَ بِالشَّبَهِ

وروى أبو عيسى الترمذي بسنده إلى أنس بن مالك. قال قال رسول الله ﷺ «سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ آيةُ الْكُرْسِيِّ»(١).

وذلك أن الحكمة في أنها سيدة آي القرآن وهي جزء منه وآية واحدة من آياته لأربعة أشياء.

أحدها: لأجل ما انفردت به من اختصاصها بذكر ذات الله العظيمة، وما حوته من الصفات واشتملت عليه من جميع الهاءات المضمرات العائدات على الذات خاصة، وما تضمنته من تحقيق التوحيد، والهاءات المشيرات إلى تخصيص الذات دون غيرها من الآيات المذكور فيها القصص والأمثال

(١) أخرجه الترمذي في أبواب فضائل القرآن - باب ما جاء في سورة البقرة، وآية الكرسي برقم (٣٠٨٢) عن أبي هريرة، وفيه حكم بن جبير ضعفه شعبة، وأحمد، وابن معين، وأبو حاتم وغيرهم. وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٥٦٠) من هذه الطريق، ولفظه: «سورة البقرة فيها آية سيد - اي القرآن - لا تقرأ في بيت وفيه شيطان إلا خرج منه: آية الكرسي»، وصححه ووافقه الذهبي، وقد وَهَمَا في هذا التصحيح. قال ابن حجر في التقريب: حكيم بن جبير ضعيف، رمي بالتشيع.

والاستخبار والخبر والوعد والوعيد والنعت والترغيب والنهي والأمر. فكانت كل آية في القرآن تابعة لها. لأن كل ما سوى الذات تابع لها، وما تفرق من ذكر جميع الصفات الذاتية جمعته في آيتها الواحدة في أحد عشر هاء مضمرات. دون الأسماء الخمسة المظهرات. ولا شيء أعظم من ذكر الذات. لأنها جامعة للصفات. فهو أعظم مذكور ومدخور، وأشرف معروف ومنظور.

الثانية: أنها اختصت بستر اسم الذات فيها. وفي مضمرات هاءاتها. وهو جامع لأصول أسماء الذات وكمال الصفات. وفي الهاء نكتة عجيبة وأسرار غريبة. وقد روي أنه من داوم على ذكر «هو» غشيته أنواره. وظهرت له أسراره.

الثالثة: أنها سميت بآية الكرسي وعرفت به. والكرسي وسع السموات والأرض وفضل عليها، وإن كان الكل خلقه جل وعلا. وفي ذلك من تفاوت في الخلقة، وإظهار القدرة، ولكن يختص بفضله ورحمته من يشاء من خلقه. وكذلك

فضل آية الكرسي على جميع آي القرآن. وخصصها باسم ذاته. وإن كان القرآن كله كلامه وصفة من صفاته، وفيه أسماؤه كلها. فيختص بنفسه ما يشاء من كلامه ومن أسمائه.

الرابعة: أن النبي، ﷺ، سماها باسم السيادة وأطلق بذلك الاسم عليها. وخصصها به دون غيرها من الآيات. ولفظ السيادة أبلغ في أسماء المدح. وأتم في إكمال التخصيص. وأنه في غاية زيادة الفضل. ألا ترى قوله: ﷺ: **«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ»** ثم أظهر فضل تواضعه وكمال سيادته وشرفه بإظهار منة الله تعالى شكراً فقال: **«وَلاَ فَخْرَ»**(١) فوجب له الزيادة المطلقة. والفضل التام. بذلك الاعتبار لأن شرف الذكر بشرف المذكور. وشرف العلم بشرف المعلوم. وفي ذلك قال الشاعر:

(١) أخرجه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، عن أبي سعيد، وهو حديث صحيح.

اللَّهُ أَكْبَرُ لاَ مِثْلٌ وَلاَ شَبَهٌ
هُوَ الْكَبِيرُ وَهذَا الْوَصْفُ حَقٌّ لَهُ
وَزَادَ إِسْمٌ قَد اسْتَظْهَرْتَ مَظْهَرُهُ
فَانْظُرْ إِلَى الْخَلْق ثُمَّ انْظُرْ تَذَلُّلَهُ

واعلم أن «هو» لفظة ذكر لجميع الحيوان العاقل وغير العاقل، والناطق وغير الناطق، وذكر لجميع الجمادات من الحجر والشجر والنبات والهواء وسائر الموجودات. كبيان من نطق باللسان وتحريك الجوارح من الإنسان، وكالذكر الدائم للقلب الذي لا يكل منه بضرباته وخفقانه، ولا يفتر عنه، وكذلك النائم بتردد أنفاسه في حالة نومه، وكذلك المريض حين يئن بكربه وألمه، وكالأسد في زئيره، والذئب فى عوائه والفرس في صهيله، والحمار في نهيقه، والريح بهبوبه، والطير بلغته، والنبات باضطرابه وحركته، والجماد بسكونه، والماء برعده وزجرته. كل يسبح خالقه ويشير لموجده بالهاء

المضمرة بضرورة حاله، وبإشارة مقاله «هو هو» قال الله: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُوراً (٤٤) ﴾ [سورة الإسراء] والتسبيح هو التنزيه، وهو الذكر المضمر الذي لا يفقه منه إلا الإشارة بإثبات وجود الواجد للموجودات الواحد القادر المنزه عن صفات المحدثات. سبحانه وتعالى. قال الشاعر:

جَلَّ الْعَظِيمُ وَمَا فِي الْكَوْنِ مِنْ أَثَرٍ
إِلاَّ لَهُ ذَاكِرٌ مِنْ كَثْرَةِ الْعِبَرِ
وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ ذِكْرٌ يَحِقُّ لَهُ
أَعْنِي الْجَمَادَ مَعَ الْحَيَوَانِ وَالشَّجَرِ
كُلٌّ لَهُ لُغَةٌ كُلٌّ يُسَبِّحُهُ
كُلٌّ يُنَزِّهُهُ عَنْ عَالَمِ الْغَيرِ

هُوَ الْمُحِيطُ الَّذِي عِلْمًا أَحَاطَ بِهِمْ
وَلاَ يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْفِكَرِ

وروي أن أبا بكر الشبلي رحمه الله تعالى قال: لقيت جارية حبشية مولهة وهي تجري وتسرع في مسيرها. فقلت لها: يا أمة الله رفقا عليك والطفي بنفسك. فقالت: «هو هو» فقلت لها: من أين أقبلت؟ فقالت: من «هو» فقلت لها: وأين تريدين؟ فقالت: إلى «هو» فقلت: ما تريدين من «هو»؟ قالت: «هو» فقلت لها: ما اسمك قالت: «هو»، فقلت لها: كم ذكر «هو»؟ قالت: لا يفتر لساني عن ذكر «هو» حتى ألقى «هو»، ثم قالت:

وَحُرْمَةِ الْوُدِّ مَالِي عَنْكُمُ عِوَضُ
وَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكُمْ بَعْدَكُمْ غَرَضُ
وَمِنْ جُنُونِي بِكُمْ قَالُواْ بِهَا مَرَضٌ
فَقُلْتُ: لاَ زَالَ عَنِّي ذلكَ الْمَرَضُ

قال الشبلي: فقلت لها: يا أمة الله ما تعنين بقولك: «هو» آلله تريدين؟. قال: فلما سمعت بذكر الله شهقت شهقة فاضت منها نفسها. رحمة الله عليها. قال: فأردت أن آخذ في تجهيزها ودفنها فنوديت: ياشبلي! من هام بحبنا، وتاه في طلبنا، وتوله بذكرنا. ومات باسمنا اتركه لنا. فديته علينا. قال الشبلي: فالتفت أنظر من المنادي والمتكلم فسترت عني، وحجبت عنها فلم أدر أرفعت أم دفنت. عفا الله عنها.

قال الشاعر:

وَمَا الْحُبُّ إلاَّ أَنْ تَمُوتَ مُولَّهًا

وَتَضْحَى أَصَمَّ الأُذْنِ عَمَّا بِهِ تَفْنَى

تُشِيرُ إِشَارَاتٍ بِكُلِّ كَلامِهَا

إِلَيْهِمْ وَقَدْ هَامُوا بغُرَّتها الْحَسْنَا

فتأمل ـ وفقك الله ـ هذا الاسم المفرد وجمعه لجميع المعاني بجملة حروفه وتفصيلها. هو الاسم الأعظم. وهو اسم

الألوهية الذي تدبرت به جميع المخلوقات، وبسطت به الأرض ورفعت به السموات. وزخرفت لمفرده جنة النعيم. وسعرت لجاحده نار الجحيم. فإن كل ملك من الملوك إنما له ملك وليس له ملك، وإنما يرث ويورث ملكا خاصا إذا عدم الوارث والمرورث، وهذا الإسم المفرد هو اسم الذات، وفيه الجمع بين الملك والملك وهاء الإحاطة بالكل. فلماذا كان كليا؟ قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [سورة النور: ٣٥] أي موجدها ومظهرها ومنورها بعد عدمها. وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة مريم] وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

[سورة المائدة]

إن في كل لفظة من هذه الألفاظ المفصلة من هذا الاسم المفرد أسرارًا عجيبة، ومعاني وحِكَمًا، وفوائد وعلومًا ومعارف غريبة، وفي الاسم التام الكامل أعني :

الله

أغرب وأعجب، فابحث وافهم تجد - إن شاء الله تعالى -:

يَا طَالِبَ السِّرِّ فِي الأَسْمَاءِ مُجْتَهِداً
أُطْلُبْ هُدِيتَ إِلَى مَقْصُودِكَ الْحَسَنِ
وَابْحَثْ عَلَيْهِ تَرَى فِي شَكْلِ أَحْرُفِهِ
مَعْنًى عَجِيبًا بِهِ مِنْ أَوْضَحِ السُّنَنِ
سَمَا الْكَمَالُ بِهِ فِي أُفْقِ مَعْلُوَةٍ
بِطُولِ طَوْلٍ يُجَافِي أَرْفَعَ الغَبْنِ
أَصْلٌ جَلِيلٌ سَرَى فِي كُلِّ مَعْرِفَةٍ
وَاسْمَعْ مَعَانِي لَهُ بِالْفَمِّ وَالأُذُنِ
فَهِيَ الدِّيَانَةُ فِي التَّوْحِيدِ جَوْهَرُهُ
بِاسْمٍ عَظِيمٍ فَذَا لِلعَارِفِ الْفَطِنِ

هُوَ الْعَزِيزُ الَّذي عَزَّ الْوُجُود بِهِ
عُلْوًا وَسُفْلاً سَعَى لَوْلاَهُ لَمْ يَكُنْ
سِرُّ الأُلَيْف سَرَى فِي الْهَاءِ مُسْتَتِراً
وَفَهْمُهُ مِنَنٌ مِنْ أَعْظَمِ الْمِنَنِ
فِي حَرْفِ أَوَّلِهِ عُظْمَى جَوَاهِرِهِ
فِي حَرْفِ آخِرِهِ رُوحٌ بِلاَ بَدَنِ
حُرُوفُهُ أَرْبَعٌ فَأَدْرِكْ مَعَانِيَهَا
تَحْظَى بِحِكْمَتِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ
هُوَ الأُلَيْفُ الَّذِي اللامَانِ تَعْقُبُهُ
مِنْ قَبْلِ هَاءٍ لَهَا حُكْمٌ عَلَى الزَّمَنِ
فَاللّٰهُ أَعْنِيهِ اسْمُ الذَّاتِ مُنْفَرِدًا
فَاعْرِفْ حَقِيقَتَهُ يَا خَيْرَ مُؤْتَمَنِ

وَانْطِقْ بِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتَ ذَا هِمَمٍ
وَاعْلَمْ بِهِ أَدَبًا تُكْفَى مِنَ الْمُؤَنِ
وَارْفَعْ بِهِ حُجُبًا وَاشْفِ بِهِ عِلَلاً
وَاكْشِفْ بِهِ كُرَبًا عَنْ كُلِّ مُمْتَحِنِ
وَأَخْرِجْ بِهِ لُؤْلُؤًا مِنْ بَحْرِ مَعْرِفَةٍ
وَاعْلُو بِهِ دَرَجًا تَرْقَى إِلَى الْوَطَنِ
وَابْذُلْ لَهُ نَفَسًا فِى كُلِّ مَوْهِبَةٍ
وَاحْفَظْ سَرَائِرَهُ مِنْ كُلِّ مُفْتَتَنِ
مَنْ لَمْ يَنَلْهُ فَقَدْ خَابَتْ مَدَارِكُهُ
دُنْيَا وَأُخْرَى مَعًا مِنْ حَسْرَةِ الْغَبَنِ
وَمَنْ تَفَهَّمَهُ نَارَتْ شَوَاهِدُهُ
كَالصُّبْحِ تُشْرِفُ بِالآيَاتِ وَالسُّنَنِ
إِنَّ الْجَوَاهِرَ لاَ تَغْلُو لِطَالِبِهَا
وَلَوْ تَطَالَبَ فِيهَا بَالِغَ الثَّمَنِ

فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ لا يَرْقَى لِرُتْبَتِهِ
تَأْبَى الْمَعَانِي بِهِ فِي جَوْهَرِ الْحَسَنِ
لاَزِلْتَ فِي حِفْظِ رَبٍّ صَائِنٍ لَكُمُ
مَا فَادَتِ الرِّيحِ والأَمْوَاجِ وَالسُّفُن

وسيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ بقية ما أدركنا فهمه بعقولنا وما سمعنا وقيدنا واستفدنا من شيوخنا تغمدهم الله برحمته ورضوانه، ونفعهم بالقسم الثاني من علم هذا الاسم المفرد ومعرفة معانيه. فليتأمله السالك ويجعله من أعظم معانيه. لأن فيه معانٍ حسنة لطيفة، وفوائد وأسراراً وحكما شريفة، يقع الانتفاع ـ إن شاء الله ـ بها. فمن أنعم عليه بفتح أبوابها. فاطلب تجد. وافهم تفد. بحول الله تعالى.

كمل القسم الأول والحمد لله على جميع نعمه. وصلى الله على سيدنا محمد خاتم أنبيائه، يتلوه ـ إن شاء الله تعالى ـ القسم الثاني بفوائده وحكمه. والله المعين على ذلك. ولا قوة إلا بالله.

****

القسم الثاني

في معرفة فضله وشرف قدره وشرح معاني أسراره، واختصاص فوائده وذكره بحول الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) ﴾ [سورة: الأحزاب] وقال عز وجل: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾

[سورة آل عمران: ١٩١]

قال رسول الله ﷺ: «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ قَالُوا يَارَسُولَ اللهِ وَمَا الْمُفَرِّدُونَ قَالَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كثيراً والذَّاكِرَات»(١)، وقال ـ عليه السلام ـ عن الله تعالى: «مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ

(١) أخرجه الإمام أحمد ومسلم، عن أبي هريرة، وأوله: «سيروا. هذا جمدان..» وبقيته مثله.

المفردون: هم المولعون بالذكر المداومون عليه، لا يبالن ما قيل فيهم ولا ما فعل بهم.

مَسْئَلَتِي أُعْطِيهِ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ» وقال ـ عليه السلام ـ: «أَشَدُّ الأَعْمَالِ ثَلاثَة: إِنْصَافُ الرَّجُلِ مِنْ نَفْسِه، وَمُوَاسَاةُ الأَخِ فِي الْمَالِ، وَذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» وقال عليه السلام: «مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلاً أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ» وقال الحسن: قلت أي الأعمال أفضل يارسول الله؟ قال: «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللهِ».

فانظر وفقك الله كيف جعل ذكر هذا الاسم:

الله

اسم الله أفضل العبادات؛ لأن الله تعالى جعل لسائر العبادات مقداراً ووقتًا وزمانًا، ولم يجعل لذكر هذا الاسم مقداراً ولا وقتًا ولا زماناً، وحض على الإكثار من ذكره، فقال: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾[الأحزاب] وقال: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً

﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب] وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة الأنفال: ٤٥، وسورة الجمعة: ١٠] وقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٠]

وقال رسول الله ﷺ «الذَّاكِرونَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ هُمُ السَّابِقُونَ وَالْفَائِزُونَ» وروى أن في التوراة مكتوبا «استَوَى الْجَبَّارُ بِعِزَّتِه فَوْقَ مَعَاقِدِ الْعِزِّ مِنْ عِزِّه فَاضْطَرَبَ الْمَاءُ لِهَيْبَتِهِ، وَنَادَى الْجَلِيلُ جَلَّ جَلالُهُ أَنَا اللهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا مَنْ ذَكَرَنِي ذَكَرْتُهُ وَمَنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ».

ومنها أيضاً: «قَالَ: يَا مُوسَى! أَنَا اللهُ الْقَدِيمُ الأَزَلِيُّ خَالِقُ مَكَّةَ، مُفْقِرُ الزُّنَاة، تَارِكُ تَارِكِي الصَّلاَةِ عُرَاةً، مُغْلِي الأَسْعَار، وَالأَهْوَاءُ مَمْلُوءَةٌ وَمُرَخِّصُهَا، وَالأَهْوَاءُ فَارِغَةٌ ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ».

واعلم أن هذا الاسم قد تقدم الكلام عليه أولا في قسمه

بنور ما سمع من علمه، وما فتح الله به من إلهامه وفهمه، وإنما الحكمة في تذكار ذكره، والحث على كثرة الذكر به دون غيره، وذلك لمحبة الله له، وتعظيمه عنده وعلو مقداره، وتخصيص فضله وإظهار شرفه على سائر أذكاره ليقع التفكر في معاني أسراره، التي تشرق على القلوب والأبدان شموس أنواره وترسخ معرفة ذاكره ويشتد له حبه، وتكمل خصوصيته ويزداد به قربه . فإن من علامة محبة المحبوب كثرة ذكره، ومن علامة المزيد كثرة شكره، ومن علامة التوفيق اجتناب نهيه وامتثال أمره، ومن علامة الرضا الاستعمال في الأوقات الفاضلة بصالحات بره وغلبة خيره على شره، وفي ذلك قال الشاعر:

كَرِّرْ عَلَيَّ الذِّكْرَ مِنْ أَسْمَائِهِ
وَاجْلُوا الْقُلُوبَ بِنُورِهِ وَسَنَائِهِ
وَدِرِ الْكُؤُسَ عَلَى النُّفُوسِ فَإِنَّهَا
تَصْبُو إِلَى الْمَشْرُوبِ مِنْ صَهْبَائِهِ

إِسْمٌ بِهِ الْكَوْنُ اسْتَفَادَ ضِيَاءَهُ

فِي أَرْضِهِ وفَضَائِهِ وَسَمَائِهِ

حَارَتْ عُقُولُ الْقَوْمِ عِنْدَ صِفَاتِهِ

نَارَتْ قُلُوبُ الْخَلْقِ عِنْدَ ضِيَائِهِ

وَإِذَا تَجَلَّى لِلْقُلُوبِ جَلالُهُ

شَعُرَتْ بِسِرٍّ سَنَائِهِ وَبَهَائِهِ

قَرَّتْ قُلُوبُ الْمُتَّقِينَ بِقُرْبِهِ

وَعَلَتْ عَلَى عَلْيَائِهِ وَعَلائِهِ

عَزَّ اسْمُهُ لِلْعَارِفِينَ مُكَرَّرًا

مَعْرُوفَةَ الْمَعْرُوفِ مِنْ آلائِهِ

ومن تخصيص هذا الاسم المفرد بالذكر أنه ما من لفظة بالذكر من ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلا وفيها تخصيص وإشارة ومعنى وفوائد عجيبة، وأسرار وحكم وعلوم ومعارف جليلة

غريبة ، فها هنا ﴿ قُلْ ﴾ إشار إلى الأمر ﴿ هُوَ ﴾ إشارة إلى الإثبات لوجوده ﴿ اللَّهُ ﴾ إشارة لاسم ذات الألوهية ﴿ أَحَدٌ ﴾ إشارة لإفراد الأحدية ﴿ اللَّهُ ﴾ إشارة لذكر الاسم المفرد للتوحيد ﴿ الصَّمَدُ ﴾ إشارة لتنزيه الذات عن نفس البشرية ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ إشارة إلى كمال التنزيه عمن سواه ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ إشارة إلى إثبات الأزلية والقدم. ونفي السبقية والحدوث والعدم، وهي إشارة إلى عدم الضد والشبيه والنظير، والكفو والند.

وسمي هذا الاسم بالاسم المفرد لتكرار ذكره وإفراده بين الاسم الآخر واسم الصمد . فاختص الحق سبحانه هذا الاسم الثاني وإفرده، وكرر ذكره ليذكر. كما خص الاسم باسم ذات الألوهية، وبمعناها ظهر، وذكر في الوجود واشتهر. فقال: ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) ﴾[الأنعام] وقال ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي معبود ومذكور ومحمود ومشكور وجميع الخلق تحت أمره ونهيه مقهور، يعلم خائنة

الأعين وما تخفي الصدور، ولا يخفي عليه شيء فيها من جميع الأمور.

وكذا الله أكبر: فيه خمسة أوجه:

أحدها: أن ذكر الله تعالى لنفسه وتوحيده وتعظيمه وتمجيده أكبر وأعظم من ذكر خلقه الضعفاء الفقراء وتوحيدهم له، لأنه هو الغني الحميد.

الثاني: أن ذكر هذا الاسم أعظم من ذكر غيره من أسمائه.

الثالث: أن ذكر الله تعالى لعبده في الأزل قبل كونه أعظم وأكبر إذا ذكره العبد في الحال، وأسبق وأقدم وأتم وأسنى وأرفع وأشرف وأكرم. قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[سورة العنكبوت: ٤٥].

الرابع: أن ذكر الله تعالى في الصلاة أفضل وأكبر من ذكره في غير الصلاة» ومشاهدة المذكور في الصلاة أعظم وأكمل وأكبر من الصلاة.

الخامس: أن ذكر الله لكم بهذه النعم العظيمة، والمنن الجسيمة، وندبه إليكم بدعوته إياكم لطاعته أكبر من ذكركم له بالذكر عليها إذ لا تطيقون شكر نعمته، ولهذا قال نبينا ﷺ: «**لا أُحْصَى ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(١) معناه لا أطيق وكان أعلمهم وأشرفهم وأرفعهم قدرا وأفضلهم، فأظهر عجزه مع كمال علمه ومعرفته ﷺ.

ثم إن ما بعد توحيده شيء أعظم من الصلاة، ولهذا كانت ثاني قاعدة من قواعد الإسلام بقوله عليه السلام: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ وَإِقَام الصَّلَاةِ**»(٢) الحديث. وجعلت تكبيرة افتتاحها الله أكبر، ولم تجعل لغيره من الأسماء كلها، ولا يجوز غير ذلك لقول النبي ﷺ: «**تَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ**» وكذلك ذكر هذا الاسم في الأذان. وفي

---

(١) أخرجه مسلم، وأصحاب السنن الأربعة، عن عائشة، رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أحمد، والشيخان، والترمذي، والنسائي، عن ابن عمر، رضي الله عنهما.

كل تكبيرة للصلاة. فذكر هذا الاسم أفضل من جميع العبادات، وأقرب للمناجاة لا للصلاة ولا غيرها من أنواع الطاعات. وقد ورد في الحديث عن الله عز وجل أنه قال: «**أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي**» وقال: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي وَحْدَهُ ذَكَرْتُهُ وَحْدِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٌ مِنْهُ**»(١) قال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [سورة البقرة: ١٥٢] ودليل تفضيله على الصلاة من نفس الآية قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥] وإنها كذلك وهي معظم الذكر، ولكن ذكر الله أكبر منها(٢)

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر (٢٦٧٥).

(٢) قال ابن عباس، رضي الله عنه، في تفسير هذه الآية: ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ يقول: ولذكر الله لعباده أكبر إذا ذكروه من ذكرهم إياه، وهو قول مجاهد، وغير واحد من السلف. وقد تعطي الآية معنى آخر: أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان، وأحدهما أعظم من الآخر، فإنها تنهي عن الفحشاء والمنكر، وهي في ذات الوقت مشتملة على ذكر الله تعالى، ولما فيها من ذكر الله تعالى، أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر، فليس ذكر الله أكبر من الصلاة لأنها اشتملت عليه.

ومن كل عبادة. لقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ولما روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا بَلَى قَالَ ذِكْرُ اللهِ**»(١) ولقوله عليه السلام في حديث معاذ بن جبل: «**مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ مِنْ عَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ**» ومعنى ذكر الله سبحانه لعبده أن من ذكره بالتوحيد ذكره بالجنة والمزيد. قال الله سبحانه: ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[سورة المائدة: ٨٥]. ومن ذكره باسمه المفرد أعني (الله) ودعاه بإخلاص أجابه. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة: ١٨٦] الآية. ومن ذكره بالشكر ذكره بالمزيد. قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [سورة إبراهيم: ٧] وما من عبد ذكره

(١) أخرجه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، عن أبي هريرة، وهو صحيح.

بذكر إلا ذكره بما يقابله عوضا له. فإن ذكره العارف بمعرفته ذكره بكشف الحجاب لمشاهدته، وإن ذكره المؤمن بإيمانه ذكره برحمته ورضوانه، وإن ذكره التائب بتوبته ذكره بقبولها ومغفرته، وإن ذكره العاصي باعتراف زلته ذكره بستره وأناته، وإن ذكره الفاجر بفجوره وغفلته ذكره بعذابه ولعنته، وإن ذكره الكافر بكفره وجرأته ذكره بعذابه وعقوبته. ومن هَلَّلَهُ أجله، ومن سبحه أصلحه، ومن حمده أيده، ومن استغفره غفر له، ومن رجع إليه أقبل عليه، فإن أحوال العبد كلها أربعة أحوال: منها أن يكون في طاعة فيذكره برؤية المنة في توفيقه لها. ومنها أن يكون في معصية فيذكره بالستر والتوبة. ومنها أن يكون في نعمة فيذكره بالشكر. ومنها أن يكون في شدة فيذكره بالصبر.

وفي ذكر الله تعالى خمس خصال: رضي الله تعالى، ورقة القلب، وزيادة الخير، وحرز من الشيطان، ومنع من ركوب المعاصي. فما ذكره الذاكرون إلا بذكره لهم، وما عرفه

العارفون إلا بتعريفه إياهم، وما وحده الموحدون إلا بعلمه لهم، وما أطاعه المطيعون إلا بتوفيقه لهم، وما أحبَّه المحبون إلا بتخصيص محبته لهم، وما خالفه المخالفون إلا بخذلانه لهم، فكل نعمة منه عطاء، وكل محنة منه قضاء، وما أخفته السابقة أظهرته اللاحقة، وفي ذلك قال الشاعر:

يَا فَاضِلاً لَمْ يزَلْ مَاذَا أَقُولُ بِهِ
وَفَضْلُ ذِكْرِكَ بِالأَعْلاَمِ اذْكَارُ(١)
بِذِكْرِكَ الْعَبْدُ خُذْلِي وَاهْدِنِي رَشَدِي
فَهَدْيُكُمْ بِطَرِيقِ الرُّشْدِ أَنْوَارُ
وَأَهْدِلِي عَمَلاً تَرْضَاهُ يَاأَمَلِي
وَاطْلِقْ لِسَانِي بِذِكْرِ الْحَقِّ إِجْهَارُ

واعلم أن كلمة التوحيد شيء بين النفي والإثبات. أولها «لا إله» وذلك نفي وتبرئة وجحد وكفر وإنكار، وآخرها «إلا

(١) هذه الأبيات كما هي بالأصل والظاهر أن بها بعض تشويه من النساخ.

الله » وذلك هو إنشاء وإثبات وإيمان وتوحيد ومعرفة وإسلام وشهادة وأنوار. فـ « لا » تنفي الألوهية عما لا يستحقها ولا يجب له. و« إلا الله » إثبات الألوهية لمن يستحقها ويجب له حقيقة. وقد جمع معنى ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦] ولا إله إلا الله هو للعامة طهارة لأفهامهم من شبه خبالات أوهامهم. إثبات الوحدانية، ونفي الأثنينية. وهي للخاصة قوة في أديانهم(١)، وزيادة في نور آمالهم بإثبات الذات والصفات. وتنزيهها عن تغير صفات الأحداث وطرو الآفات، وهو لخاصة الخاصة تنزيها عن ذكره ورؤية المنة والفضل بالشكر على شكرهم.

والناس في التوحيد وذكره ثلاثة أصناف: صنف منهم عموما لأهل البداية، وهو التوحيد باللسان نطقا ومقالا واعتقاداً وإخلاصا بأنوار شهادة التوحيد « لا إله إلا الله محمد

(١) الصواب أن يقال: دينهم.

رسول الله» وهو الإسلام. وصنف خصوص وسط، وهو توحيد القلب تصريفا وصرفا واعتقاداً وإخلاصا وهو الإيمان. وصنف خصوص الخصوص وهو توحيد العقل عياناً أو يقينا ومشاهدة وهو الإحسان.

وللذكر ثلاثة مقامات: ذكر باللسان. وهو ذكر عامة الخلق . وذكر بالقلب، وهو ذكر خواص المؤمنين. وذكر بالروح، وهو لخاصة الخاصة، وهو ذكر العارفين بفنائهم عن ذكرهم وشهودهم إلى ذاكرهم. ومنته عليهم.

ولذاكر هذا الاسم المفرد أعني «الله» حالات: حالة الوله والفناء. وحالة الحياة والبقاء. وحالة النعم والرضا.

فأما الحالة الأولى من الوله والفنا، وهو الذي يقتصر على ذكره ولا خاصة في بدايته دون غيره من الأسماء، ويجعله نجيا، ويحقق ذكر الهاء فيه حين يذكره فمن داوم على ذلك محا ظاهره وأمحق باطنه. فكان في ظاهره كالمجنون والموله الممحق عقله عنه لا يقبل عليه أحد ويفر الخلق منه ولا يسكن إليه، لأجل ثبوت الوله الذي كسى ظاهره. وسر الاسم

الذي هو ذاكره. فإن ذكر صفة الألوهية لا يقدر أحد أن يتصف بشيء منها، ولا يستقيم ثباتا أن يتلقاه نفسا يصدر عنها، فصار ذاكره بين الخلق كما قال تعالى: ﴿ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ وكان في باطنه كالميت الفاني لسكون ذاته وصفاته، وسكونه عن مألوفاته وعاداته، وخضوع جوارحه وهمود فؤاده وخشوعه. كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) ﴾[سورة المزمل] وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ﴾ [سورة الحج]

وأما الحالة الثانية من الحياة والبقاء: فإنه إذا تحقق ذاكر هذا الاسم فيه وثبت عليه وألفه امتحت منه رسومه وأوصافه، ونفخ فيه روح الرضا بعد موت اختياراته وإراداته، وفنى عن حظوظ عاداته وشهواته، وخرج عن مذموم صفاته، وانتقل من حالة الوله والفناء إلى حالة الحياة والبقاء، وكانت له هيبة وسطوة في الموجودات وخافه وعظمه وذل له وتبرك به كل شيء من المحدثات .

وأما الحالة الثالثة من حالة النعيم والرضا: فإن ذاكر هذا الاسم إذا عظم أمر الله ، وأشفق على خلق الله، ولم يتغالى بالادعاء في دين الله، وانبسط من نفسه بالله لله. واتسع بسعة رحمة الله ولم تؤثر فيه مخلوقات الله، ولم يبق لأحد ولا لشيء عليه سبيل بإذن الله انتقل من حالة الحياة والبقاء إلى حالة النعيم والرضا، وعاش عيشة منعمة دائمة كريمة هنيئة مرضية، لا كدر فيها ولا غير، سليمة مستقيمة، وتمكن في حاله، وأمن فاطمأن، وثبت وكان بين الخلق كغيث المطر حيثما حل أخصب وأنبت واقتات جميع الأشياء منه. وحصل له التنعم والرضا بالله. ورضى الله عنه. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة المؤمنون] وروى أن فقيراً في مجلس الشبلي رضي الله عنه صاح: «الله». فقال له الشبلي: ياهذا! إن كنت صادقاً فقد اشتهرت. وإن كنت كاذباً فقد هلكت. وصاح رجل عند أبي القاسم الجنيد رحمه الله. فقال له الجنيد: يا أخي! إن

كان من ذكرته شاهدا لك وأنت حاضر معه فقد هتكت الستر والاحترام، والغيرة من شيم أوصاف المحب المستهام. وإن كنت ذكرته وأنت غائب عنه فذكر الغيبة غيبة، والغيبة حرام.

وحكى عن أبي الحسن الثوري رحمه الله أنه بقى في منزله سبعة أيام لم يأكل ولم يشرب ولم ينم وهو يقول: الله الله. وأخبر أبو القاسم الجنيد بحاله فقال: أمحفوظ عليه أوقاته؟ قيل له: إنه يصلي الصلاة لوقتها، فقال: الحمد لله الذي حفظه ولم يجعل للشيطان عليه سبيلا. ثم قال لأصحابه: قوموا بنا حتى نزوره، فإما نفيد أو نستفيد منه. قيل: فلما دخل عليه الجنيد قال: يا أبا الحسن! هو قولك الله الله بالله أم بنفسك، فإن كنت القائل بالله فلست القائل له. فإنه المتكلم على لسان عبده، الذاكر نفسه بنفسه، وإن كنت القائل بنفسك فأنت مع نفسك فما معنى الوله. قال له الثوري: نعم المؤدب أنت ياأستاذ! فسكن وله:

وَلِهْتُ بِكُمْ ذِكْراً وَحَقًّا لِصَبِّكُمْ
يُصِيبُ بِذِكْرَاكُمْ وَيَفْنَى بِكُمْ عِشْقَا

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شَوْقًا إِلَى الْحُبِّ غَالِبًا
عَلَى الْعَقْلِ مِنْ وَجْدٍ لَعَمْرِي لَقَدْ يَشْقَى
وَمَا الذِّكْرُ إِلاَّ أَنْ يَغِيبَ بِذِكْرِهِ
عَنِ الذِّكْرِ فِي الْمَذْكُورِ مِنْ وَلَهٍ يَلْقَى
وَمَن كَانَ ذَا عَقْلٍ فَلَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ
وَمَنْ غَابَ عَنْ ذِكْرٍ فَحَقٌّ لَهُ يَرْقَى

واعلم أن الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بمداومة حضور القلب وإخلاص ذكر اللسان مع رؤيته منه، السيد يجري إطلاق الذكر على لسان العبد .

وقيل: الذكر هو الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على استيلاء الخوف وشدة المحبة وهيجان الشوق وقلة الغلبة. وحقيقة الذكر إفراد المذكور بغيبة الذاكر عن ذكره، وفنائه في المشاهدة والحضور لم يغيب مشاهدته في مشاهدته. فيشهد حقا بحق. فيكون الله هو الذاكر

والمذكور. فمن حيث جريان الذكر على لسان العبد كان ذاكرا له. ومن حيث تيسيره له وتسهيله على لسانه هو ذاكرا لعبده فما به ذكره. ومن حيث بعث الخاطر ابتدأ منه كان ذاكرا لنفسه على لسان عبده كما روى في الحديث الصحيح أنه قال تعالى: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذى يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ بِهِ، ولَسَانَهُ الَّذى يَنْطقُ به[1] الحديث وفي رواية أخرى: «كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَلِسَانًا وَيَدًا وَمُؤيِّدًا» الحديث.

والذكر تختلف أنواعه وتتعدد، والمذكور واحد لا يتعدد ولا يتحدد. وأهل الذكر هم أحباب الحق من حيث اللوازم،

---

(١) اخرجه البخاري، عن أبي هريرة، والمعنى إذا تحقق القلب بالتوحيد التام لم يبق فيه محبة لغير ما يحبه الله، ولا كراهة لغير ما يكرهه الله، ومن كان كذلك لم تنبعث جوارحه إلا بطاعة الله، ولم تتحرك إلا بما يريده منه مولاه، فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله، وإن سمع سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطن بطن به، فهذا هو المراد بقوله: « كنت سمعه ... إلخ »، ومن أشار إلى غير هذا فإنما يشير إلى الإلحاد من الحلول والاتحاد، والله ورسوله بريئان منه. (جامع العلوم والحكم).

وهو على ثلاثة أقسام: ذكر جلي، وذكر خفي، وذكر حقيقي. فالذكر الجلي لأهل البداية وهو ذكر اللسان يصرف الشكر والثناء والحمد بتعظيم النعم والآلاء ورعي العهد، وحسنته بعشرة إلى سبعين. والذكر الباطن الخفي لأهل الولاية وهو ذكر سر القلب بالخلاص من الفترة، والبقاء مع المشاهدة بلزوم مشاهدة الحضرة، وحسنته بسبعين إلى سبعمائة. والذكر الكامل الحقيقي لأهل النهاية، وهو ذكر الروح بشهود الحق إلى العبد. والتلخص من شهود ذكره ببقائه بالرسم والحكم، وحسنته بسبعمائة إلى ما لا نهاية له بالتضعيف، لأن المشاهدة فناء لا لذة فيها، والروح له ذكر الذات. والقلب له ذكر الصفات، واللسان له ذكر العادة للتعرضات. فإذا صح ذكر الروح مكث القلب عن ذكره ذلك. وذكر هيبة الذات، وفيه إشارة إلى التحقيق بالفناء وإشعار بالقرب، وإذا صح ذكر القلب سكت اللسان وفتر عن ذكره، وذلك ذكر الآلاء ونعمها أثر الصفات، وفيه إشارة إلى استدعاء وجود بقية دون فناء وإشعار تضعيف القبول. فإذا غفل القلب عن الذكر أقبل

اللسان على الذكر عادة وتعرضا. ولكل واحدة من هذه الأذكار آفة. فآفة ذكر الروح إطلاع سر القلب عليه، وآفة ذكر القلب إطلاع النفس عليه، وآفة ذكر النفس التعرض للعلات، وآفة ذكر اللسان الغفلة والفتور، وفي ذلك قال الشاعر:

هُوَ اللّٰهُ فَاذْكُرْهُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِه
فَلاَ يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إلاَّ لِمَجْدِه
عَظِيمٌ لَهُ حَقُّ الْمَحَامِدِ كُلِّهَا
فَمَاذَا عَسَى تَقْضِيه أَذْكَارُ عَبْدِه
لَوِ الْبَحْرُ أَضْحَى وَالْبِحَارُ تَمُدُّهُ
مِدَادًا وَمُحْصِي الْبَحرِ عَادَ كَمَدِّه
وَأَجْهَرَتِ الأَشْجَارُ تَكْتُبُ حَمْدَهُ
لإِنْفَادِ مَا تَحْمَدُهُ مِنْ دُونِ عَدِّه
لَزَادَ تَسَمَّى بِالْحَمِيدِ وَخَلْقُهُ
تُسَبِّحُ مَادَامَ الْوُجُودُ لِمَجْدِه

ثم الناس في الذكر على ثلاثة أقسام: عامة مفادون، وخاصة مجتهدون، وخاصة الخاصة مهتدون. فذكر العامة بداية للتطهير، وذكر الخاصة وسط للتقدير، وذكر خاصة الخاصة نهاية للتبصير. فذكر العامة بين نفي وإثبات، وذكر الخاصة إثبات في إثبات، وذكر خاصة الخاصة حق بحق إثبات الإثبات، من غير رؤية واسعة ولا التفات. فذكر الخائفين على وعيده. وذكر الراجين على وعده. وذكر الموحدين بتوحيده. وذكر المحبين على مشاهدته، وذكر العارفين ذكره له لا بهم ولا لهم. فالعارف يذكر الله تشريفا وتعظيما، والعالم يذكر الله تنزيهاً وتمجيدا، والعابد يذكر الله خائفا وراجيا، والمحب يذكر الله ولها، والموحد يذكر الله هيبة وإجلالا، والعامة تذكر الله عادة جارية. والعبد مقهور وللذكر مذكور. والمكلف غير معذور.

وكيفية الذكر على ثلاثة أحوال: ذكر البداية للحياة واليقظة، وذكر التوسط للتنزيه والطهارة، وذكر النهاية

To: www.al-mostafa.com

للوصلة والمعرفة. فذكر الحياة واليقظة بعد التلبس بشروطه الإكثار من ذكر « ياحي ياقيوم لا إله إلا أنت ». وذكر التطهير والتنزيه بعد التلبس بشروطه الإكثار من « حسبي الله الحي القيوم ».

وللذكر ثلاث مراتب: منها ذكر الغفلة، وجزاؤه الطرد واللعن، وذكر الحضور قرب وزيادة وفضل، وذكر الاستغراق محبة ومشاهدة ووصل، كما قيل:

مَا إِنْ ذَكَرْتُكَ إِلاَّ هَمَّ يُقْلِقُنِى
فِكْرِى وَذِكْرِى وَسِرِّى عِنْدَ ذِكْرَاكَا
حَتَّى كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ يَهْتِفُ بِى
إِيَّاكَ وَيْحَكَ وَالتِّذْكَارَ إِيَّاكَا
إِجْعَلْ شُهُودَكَ فِى لُقْيَاكَ تَذْكِرَةً
فَالْحَقُّ تِذْكَارُهُ إِيَّاكَ لُقْيَاكَا

أَمَا تَرَى الْحَقَّ قَدْ لاَحَتْ شَوَاهِدُهُ
وَوَاصَلَ الْكُلُّ مِنْ مَعْنَاهُ مَعْنَاكَا
فَامْنُنْ بِذِكْرٍ صَفَا عَنْ كُلِّ مُشْتَبِهٍ
وَارْحَمْ عُبَيْداً عَسَى بِالْقَلْبِ يَرْعَاكَا

واعلم أن الذكر لا يخلو من ثلاثة أشياء: إما ذكر اللسان بقرع باب الملك، وهو كفارة ودرجات. وإما ذكر القلب بإذن مخاطبة الملك، وهو زلفا وقربات. وإما ذكر الروح بمكالمة الملك ومحادثته، وهو حضور ومشاهدة. فالذكر باللسان والقلب غافل هو ذكر العادة العاري عن الزيادة. والذكر باللسان والقلب خاطر هو ذكر العبادة المخصوص بالإفادة. والذكر بكل اللسان وملء القلب هو الكشف والمشاهدة. ولا يعلم قدره إلا الله تعالى.

وروى أَنَّ مَنْ أَكْثَرَ فِي بِدَايَتِهِ مِنْ قِرَاءَةِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ وَقَوِيَ تَوْحِيدُهُ.

وروى البزار عن أنس بن مالك عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ مائةَ أَلْف مَرَّةٍ فَقَد اشْتَرَى بِهَا نَفْسَهُ مِن اللهِ تَعَالَى، وَنَادَى مُنَادٍ من قِبَلِ اللهِ تَعَالَى فِي سَمواته وفِي أَرْضِه: أَلا إِنَّ فُلانًا عَتيقُ اللهِ، فَمَنْ لَهُ قِبَلَه تبعَةٌ فَلْيَأْخُذْ مِن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

وروى «أَنَّهُ مَنْ أَكْثَرَ من الاسْتغْفَارِ عَمَّرَ اللهُ قَلْبَهُ وَكَثَّرَ رِزْقَهُ وَغَفَرَ ذَنْبَهُ وَرَزَقَهُ من حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ كُلِّ ضيقٍ فَرَجًا وَمَخْرَجًا وَيُؤْتِيه الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ عُقُوبَةٌ وَعُقُوبَةُ الْعَارِفِ الْغَفْلَةُ عَنِ الْحُضُورِ فِي الذِّكْر».

وفي الحديث الصحيح عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لِكُلِّ شَيْءٍ مَصْقَلَةٌ، وَمَصْقَلَةُ الْقَلْبِ الذِّكْرُ، وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» وجلاء القلب وبياضه وتنويره بالذكر وباب الفكر. فإن أرفع المجالس وأشرفها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد، والتوكل عمل القلب. والتوحيد قوله. وباب الذكر

الفكر، وباب الفكر اليقظة، وباب اليقظة الزهد، وباب الزهد القناعة، وباب القناعة طلب الآخرة، وباب الآخرة التقوى وباب التقوى الدنيا، وباب الدنيا الهوى، وباب الهوى الحرص، وباب الحرص الأمل، والأمل هو الداء العضال الذي لا يبرأ. وأصل الأمل حب الدنيا، وباب حب الدنيا الغفلة، والغفلة هي غلاف على باطن القلب يتولد، والتوحيد هو الإكسير الذي لا يضر مع اسمه شيء، كما قيل: « بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم »(١) وأعظم التوحيد ولبه وقلبه وجوهره توحيد هذا الاسم المفرد وإفراده ومعرفته.

وذكر أن بعض العارفين المحققين سئل عن اسم الله الأعظم

(١) عن عثمان بن عفان ،رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « ما من عبد يقول فى صباح كل يوم، ومساء كل ليلة: بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شئ »، أخرجه الترمذى وصححه، والنسائى، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وابن أبى شيبة، وأبو داود، وفى روايته: « لم تصبه فجاءة بلاء حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح لم تصبه فجاءة بلاء حتى يمسى ».

فقال: هو أن تقول: «الله». وأنت لا تكون هناك. فإن من قال الله من الخلق قاله بحظ. وما تدرك الحقائق بالحظوظ. ومن قال الله بالحروف فإنه لم يقل الله ولا ذكره حقيقة، لأنه خارج عن الحظوظ والحروف والأفهام والمحسوس والرسوم والخيالات والأوهام، لكن ربنا بفضله رضى منا بذلك، وأثابنا عليه، لأنه لا سبيل إلى ذكره وتوحيده من حيث لا حال ولا مقال إلا بها في استطاعة البشر من قوله بإدراكه. وأصل التخصيص والعناية من العارفين والعلماء أهل التمكين لا يرضى ذكره منهم بذلك كما قال: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤) ﴾[الصافات] ومن أحسن أن يقول:

★★★★★

لِفَنَا وَجُودِهِمُ بِذَاتِ وُجُودِهِ
مُتَنَزِّهٌ عَنْ جَوْهَرِ الأَعْرَاضِ
لاَ شَيْءٍ يُشْبِهُهُ فَأَيْنَ وَكَيْفَ مَا
فَمَتَى سُؤَالٌ عَنْ حُدُودٍ مَاضِي
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَكُونَ وُجُودُهُ
فَوْقَ الظُّهُورِ وَغَايَةَ الإِغْمَاضِ

وفي الحقيقة ما ذكر الله إلا الله. ولا عرفه سواه. ولا وَحَّده حقًا إلا إياه. أما ذكره لنفسه فقوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فذكره جل وعلا لنفسه أكبر وأعظم وأكمل وأتم من ذكر غيره له. وأما معرفته به فقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ فهو العارف بكمال ذاته. وعظيم صفاته. وغيره من جميع مخلوقاته عاجزون عن أن يحيطوا ببعض مخلوقاته. فكيف بصفة من صفاته. وأما توحيده له فقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ الآية فهو العالم بتوحيده على الحقيقة والكمال.

وما وحده غيره من خلقه إلا بعد ما وحد نفسه. وأفاض من نور توحيده شيئًا على ملائكته. وأولى العالم بقدر ما يحمله كل صنف منهم. وما سبق لهم من قسمة قسمها في أزلية علمه. فوجوده بنور توحيده. لا بذات نفس توحيده. وكل عارف عاجز عن معرفته. والمعرفة موجودة فيه. لأنها ضرورية وهي غاية المعرفة، فإن مثل المعرفة الضرورية كالسراج في الشمس وانبساط شعاعها عليه. ولهذا أكمل التوحيد رسوخه في العقل وأقواه سببًا في الحجة، وأثبته تبيانا في الذهن، وأحقه تمكينا في اليقين، وأوضحه ظهورا في المحجة. والصفة اتحاداً بالقلب ما أخذه الموجد بشاهد من شواهد ضرورات نفسه. وتحققه بنظر سالم ونقد صحيح من أدرك عقله من غير تقليد ولا تشكيك. ولا ظن ولا ترديد. فإن التقليد في التوحيد بعيد المزيد. ولا ينفع ولا يفيد. والتقليد هو التزام قول الغير من غير معرفة برهان ولا بيان دليل، ولا يرضي به إلا كل غَبيٍّ الفهم غليظ الطبع بليد الفكر جاهل ذليل. منعزل محجوب. مهمل مسلوب. عصمنا الله وإياكم

من حجاب هذه الصفة. وجعلنا من أهل العلم والفهم والتحقيق والمعرفة بمنه.

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي - ﷺ - أنه قال: «**الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ سِرَاجٌ يُزْهِرُ فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ وَقَلْبٌ أَسْوَدُ مَنْكُوسٌ فَذَلِكَ قَلْبُ الْكَافِرِ وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلَافٍ فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُنَافِقِ وَقَلْبٌ تَصَفَّحَ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ فَمَثَالُ الإِيمَانِ فِيهِ الْبَقْلَةُ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ الْقَرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيحُ وَالصَّدِيدُ فَأَيُّ الْمَادَّتَيْنِ غَلَبَتْ حُكِمَ لَهُ بِهَا**»(١) وفي رواية ذهبت به.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (ج٣ ص١٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح. فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فيه نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافرين، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القيح والدم، فأي المادتين غلب على الأخرى غلب عليه.

وقال علي - كرم الله وجهه ورضي عنه -: القلب الأجرد هو انجراده بالزهد في الدنيا وتجريده من الهوى. وسراجه الذي يزهو فيه هو نور اليقين يبصر به اليقين. وقال بعضهم القلب الأجرد هو انجراده بالتوحيد عن التشكيك والترديد والتقليد وتجريده عما سوى الله. والقلب المنكوس هو من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم. ونكسه عكس رؤية نور ضرورة علم التوحيد برؤية ظلمة الفكر والإشراك. وفي هذه قال بعض العارفين: أشد الظلم ظلمة العلم، وأعظم الجهل جهل التقليد. والقلب الأغلف هو المحجوب بظلمة ظلام جهل التقليد. عن رؤية شمس النبوة والتوحيد.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) ﴾ [سورة الزخرف] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ [سورة لقمان: ٢١] والقلب

المصفح هو المتردد بين هوى النفس ومراءاته بعلمه. مع وجود أمانه وتصريفه. والرياء شرك، والشرك محبط للعمل. وأعظم الرياء من رايا بالإيمان. قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) ﴾ [سورة البقرة] الآية وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾ [سورة التوبة: ٥٤] الآية وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧) ﴾ [سورة الماعون]. وبالجملة أيما كان القلب فهو الموجب لا السالب.

وقيل: مثل القلب في قوة نوره وتوحيده وضيائه مثل المصباح في القنديل هو القلب. والماء مكان العقل منه. والزيت موضع العلم به وهو روح المصباح. وبكثرة العلم يكون روح اليقين. وأيدهم بروح منه. والفتيلة مكان الإيمان منه. وهو أصله وقوامه الذي يغمر بها. فعلى قدر صفاء القنديل الذي هو القلب المخلص يظهر لون الماء الذي هو العقل

المؤيد . وعلى قدر صفاء الزيت ورقته واتساعه الذي هو العلم يضيء نور النور الذي هو مكان الإيمان، وعلى قدر قوة الفتيلة وجودة جوهرها يقوى اليقين. وهو مثل الإيمان في قوته بالزهد والخوف والخشية. وبضياء النار تضيء النفس، وهو مثل العلم في مواد التقوى والورع والمعرفة وعدم الهوى وشهوة الطبع. فصار العلم مكانا للتوحيد، فتمكن الموحد في التوحيد على قدر المكان، والتوكل عمل القلب، والتوحيد قول القلب. وأرفع المجالس وأشرفها الجلوس مع الفكر في ميدان التوحيد. فكلما اتسع القلب بالعلم زهد في الدنيا وعُدِم منه الهوى والحرص والأمل وازداد إيمانه وتم توحيده.

وقيل: مثل القلب كالعرش، والصدر كالكرسي، وإذا اتسع الصدر بعلم الإيمان وانشرح بنور اليقين صار كرسياً وسع علمه ظاهر عالم الملك وباطن عالم الملكوت في ذاته وفي غيره. وصار سيلا متحيزاً في معارفه، سالكا معتبراً متخلقاً بأخلاق الملأ الأعلى في أصرافه كما روى عن الله تعالى أنه

قــال: «**لاَ يَزَالُ الْعَبْدُ يَتقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ**»(١) الحديث وإذا امتلأ القلب بالتوحيد كان عرشياً. وتنزهت عن أوصاف البشرية ذاته. وشرفت في الملأ الأعلى صفاته. وعلت وسمت في الملأ الأسفل معرفته، واكتملت بنور اسم الذات بصيرته، وعظمت ما عظم العرش على المخلوقات منزلته. وتخلق بأخلاق الله. وتصير الأسماء الحسنى وصفه وصفته(٢). وصار محققاً مستبصراً فانيا في شهود المذكور عن ذكره. مردداً رحمته للخلق. داعياً إلى الحق بالحق. كما روى عن الله تعالى أنه قــال: «**لا يَسَعُنِي عَرْشِي وَلا كُرْسيِّ وَلا سَمَايَ وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي**» معنى يسعه توحيداً وإيماناً وعلماً ومعرفة وإيقاناً

---

(١) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ،رضى الله عنه.

(٢) أسماء الله الحسنى وصفاته العليا لا يمكن ان تصرف على إطلاقها إلا لله عز وجل. إذ كيف يكون العبد المخلوق قدوسا ورحمانا وقهارا وقيوما؟! وإنما يمكن ان تقول فلان رحيم ورءوف بأهل بيته، وتقول: فلان حى، لكن حياته بين عدمين وهكذا.

ومحبة وإخلاصاً فضلا من الله وتخصيصًا لا يسعه مساحة ولا خيالاً ولا حلولاً ولا حساً ولا حكمًا.

وتنزيه الحق سبحانه على ثلاثة أقسام: تنزيه العامة، وتنزيه الخاصة، وتنزيه خاصة الخاصة.

فتنزيه العامة: تنزيه الحق عن النقائص، وهو تنزيه النفس عن الشرك والضد والند وإفراد الألوهية بالتوحيد للإله الواحد.

وتنزيه الخاصة: تنزيه عن حصر ما لا يتناهى من المحامد، لأن محامد القديم لا تتناهى، وحصر ما لا يتناهى محال. وهو تنزيه القلب عن الغفلة والفترة بلزوم الذكر والخشية. ورؤية الفضل والمنة.

وتنزيه خاصة الخاصة: تنزيه عن رؤية أنفسهم في التنزيه بنفي تأثير فيه وجود البشرية. وتنزيه عن دعوى صدور رؤية الفعلية، وهو تنزيه العقل عن تنزيهه.

ومعرفة الحق سبحانه على ثلاثة أوجه:

معرفة الوحدانية من طريق الخبر على لسان التوحيد بدليل الكمال والقدم.

ومعرفة القدرة من طريق الاجتهاد على بساط الصفا في ميدان الإحسان بدليل الفضل والنعم.

ومعرفة المحبة من طريق الكشف على شهود الحضور في ميدان التجلي بدليل الجود والكرم.

واختلف العلماء المعبرون في معرفة الله تعالى على ثلاثة أصناف، فصنف منهم قالوا: ما في الوجود من لم يعرف الله وصرفوا. وصنف منهم قالوا: ما في الوجود من عرف الله تعالى وصرفوا، وصنف قالوا: ما عرف الله إلا الله عز وجل وصرفوا. فأما من أثبت المعرفة بالله لجميع العالم وصرفهم في ذلك فهي من طريق الأسماء والصفات، فإن أول الواجبات في معرفة الديانات معرفة المعلوم على ما هو به من صفات ذاته

وأفعاله، ويستدل على الصانع بصنعته وعلى الفعل بفاعله إذ بضرورة العقل يعلم وجود الفاعل لاستحالة وجود فعل من غير فاعل. وقد قال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ وحديث معاذ بن جبل حين بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ» الحديث فأثبت الله تعالى ورسوله عليه السلام لهم معرفته. ونفي الشك عنهم بوجوده. قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾.

وهذه الآيات عموم في سؤال الخلق عن خالقهم. فثبت بطريق العقل والنقل أنه ما في الوجود من ينكر وجود الصانع الفاعل المختار، ولا من يجهل اسمه جل ذكره.

وأما من نفى المعرفة بالله عن جميع العالم وصرفهم في ذلك فهي من طريق عدم الإحاطة بمعرفة حقيقة ذاته وصفاته على ما هو به من كنه ماهيته، إذ بضرورة العقل يعلم عدم إحاطة معرفة المحدث المقيد بكمال وجود المطلق القديم الأحد، لأنه من إحاطة المفعول بفاعله، وهو محال عقلا. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥] وقوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ وقوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ معناه ما عرفوه حق معرفته. قال ﷺ: «لَوْ عَرَفْتُمُ اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ لَمَشَيْتُمْ عَلَى الْبِحَارِ وَلَزَالَتْ بِدُعَائِكُمُ الْجِبَالُ» وقال عليه السلام: «لَوْ عَرَفْتُمُ اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ لَعُلِّمْتُمُ الْعِلْمَ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ جَهْلٌ، وَمَا بَلَغَ ذلِكَ أَحَدٌ» قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: « ولا أنا ». قالوا ما كنا نرى الرسل عليهم السلام تقصر عن ذلك. والله أعز شأنا وأعظم سلطانا أن ينال أحد أمره كله. وهذه المعرفة محال في حق الخلق، واجبة في حق الله تعالى، لأنه جل وعلا علم

بنفسه وبصفاته وبمعلوماته على ما هو به على الإطلاق من غير تقييد ولا إحاطة لأحد سواه. وأما إثبات ما عرف الله إلا الله وصرفهم في ذلك: فهو من طريق تحقيق الإحاطة بعلمه المطلق. فإنه خالق الموجودات، ومحدث المحدثات، ومدبر أمورهم وعالم قدرهم ومقدارهم، ومفنيهم وموجدهم، ومبديهم ومعيدهم قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢] وقال: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [غافر: ٦٢] وقال: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾[فاطر: ٣] . وقال: ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨] وقال: ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وقال: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥] وقال: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ

كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤] وقال رسول الله ﷺ: «لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»(١) وقال: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وكان عليه السلام أفضل الخلق. وإمام العالم، وقطب الوجود، وروح الموجودات، ولكن أعطى الربوبية حقها، وذلك لكمال معرفته، ونهاية علمه وشرف قدره ﷺ صلاة ترضيه وتزيده شرفاً وعزا وتخصيصاً وقربا. ومقامات دانية تدنيه.

فثبت بطريق العقل والنقل أن ما عرف الله تعالى على الحقيقة أحد من خلقه، ولا عرفه معرفة تجب له سواه جل وعلا. قال الشاعر:

نَطَقَتْ بِلاَ نُطْقٍ هُوَ النُّطْقُ انَّهُ
لَكَ النُّطْقُ لَفْظًا أَوْ يَبِينُ عَلَى النُّطْقِ

---

(١) اخرجه مسلم وأصحاب السنن الأربعة، عن عائشة.

تَرائَيْتُ كَيْ تَخْفَى وَقَدْ كُنْتَ خَافِيًا
وَأَلْمَمْتَ لِي بَرْقًا فَأَنْطَقْتَ بِالْبَرْقِ
فَمَنْ لي بِالنُّطْقِ الْحَقِيقِيِّ إِنَّنِي
فَقِيرٌ مِنَ الأَشْيَاءَ بِالْحَقِّ لِلْحَقِّ
جَهِلْتُ فَلَمْ أَعْلَمْ أَشَرْتُ فَلَمْ أُفِدْ
وَصِرْتُ لَهُ عَبْدًا فَمَنْ لِي بِالْعِتْقِ
فَنِيتُ بِهِ عَنِّي وَكُنْتُ بِهِ خَفِي
فَإِنْ شَاءَ أَفْنَانِي وَإِنْ شَاءَ لِي يَبْقِي
وَمَا أَحَدٌ يَدْرِي سِوَى اللهِ نَفْسَهُ
وَكُلٌّ لَهُ بِالْجَهْلِ يَنْطِقُ بِالصِّدْقِ

واعلم أن الناس في ذكر توحيدهم على ثلاثة أقسام: عموما لأهل البداية الذكر باللسان نطقا ومقالا وإقرارًا بالشهادة وهو الإسلام. وخصوصا لأهل التوسط الذكر بالقلب

تصديقا واعتقادا وصدقا وإخلاصا، وهو الإيمان، وخصوص الخصوص لأهل النهاية. الذكر بالعقل عيانا يقينا مشاهدة بضرورة الطبع. وهو الإحسان. والتفاوت في مراتب معرفة الخلق وتوحيدهم موجود على قدر رتبة الخصوص والعموم في معرفة توحيد الجملة والتفصيل من معرفة الأسماء والصفات خاصة لا معرفة الذات، لأن أصل المعرفة معرفة حق ومعرفة حقيقة. فمعرفة الحقيقة هي معرفة الذات ولا سبيل إليها لامتناع الضدية. فإن العجز عن درك الإدراك إدراك. والبحث عن ذات الذات إشراك. قال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه: فسبحان من لم يجعل سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.

وأما معرفة حق فهي معرفة الأسماء والصفات، وهي مفتوح للخلق بابها وفيها وقع التفاوت بين أهل المعرفة. فمنهم من نظر إلى أفعاله من حيث أنها أفعاله وصنعته، وذلك حد معرفة عقله وإدراك عقله لا يتعداه.

ومنهم من نظر إلى قدرة القادر، ولاحظ صفاته. ورأى حكمته. ولم تحجبه الأفعال عن الصفة. وذلك حد معرفته وإدراك عقله لا يتعداه.

ومنهم من نظر إلى الصانع لا إلى الصنعة، ولم تحجبه الصفات عن عظمة الذات. وذلك غاية الإدراك. ونهاية العقول. ولا تتعداه وإليه انتهت المعرفة في الاستدلال العموم بالصنعة على صانعها بداية قال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] وقال: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ [البقرة: ١٦٤] وقال: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١] واستدلال الخصوص بالصانع على صنعته نهاية. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

[فصلت: ٥٣] وقال: ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ وقال: ﴿ **أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [إبراهيم: ١٠].

والناس في المشاهدة على ثلاثة أقسام. بداية للعامة. ووسط للخاصة. ونهاية لخاصة الخاصة، فالعموم شاهدوا جمال حسن صورة حسن أُسِّ المعنى في الجسم الكثيف المركب الأدنى. والخصوص شاهدوا جمال حسن صورة حسن أس المعنى اللطيف المفيد في هياكل الفنا، وخصوص الخصوص شاهدوا جمال إجلال حسن الجمال الأسني المنزه المطلق في الوجود، الصادر عن سر الأسماء الحسنى. وكل مشاهد إنما يشهد بقدر ما رفع له من الحجاب. وأشهده إياه من قسمة كانت له في أم الكتاب. فمن مشاهد يشهد مخلوقاً مفيدا خلقا بخلق. ومشاهد يشهد تحقيقا مطلقا حقا بحق. فشتان ما بين ناظر معتبر وناظر (١) وفي ذلك قال القائل:

(١) هكذا بياض بالأصل.

وَيَبْدُو بِأَوْصَافِ الْجَمَالِ فَلاَ يُرَى

بِرُؤْيَتِهِ شَيْئًا قَبِيحًا وَلاَ رَدِى

فَلَمَّا تَجَلَّى لِي عَلَى كُلِّ شَاهِدٍ

وَأَشْهَدَنِي بِالْحَقِّ فِي كُلِّ مَشْهَدِ

تَجَنَّبْتُ تَقْيِيدَ الْجَمَالِ تَرَفُّعًا

وَطَالَعْتُ أَسْرَارَ الْجَمَالِ الْمُبَدَّدِ

فَفِي كُلِّ مَشْهُودٍ لِقَلْبِي شَاهِدٌ

وَفِي كُلِّ مَسْمُوعٍ لَهُ لَحْنُ مَعْبَدِ

وَصَارَ سَمَاعِي مُطْلَقًا مِنْهُ بَدْؤُهُ

وَحَاشَى لِمِثْلِي مِنْ سَمَاعٍ مُقَيِّدِ

أَرَاهَا بِأَوْصَافِ الْجَمَالِ جَمِيعِهَا

كَمِحْنَةِ مَهْجُورٍ وَمِحْنَةِ مُسْنَدِ

فتنبه رحمك الله لهذه اللطائف الحسنة. والمعارف الفاضلة الجليلة البديعة المستحسنة. وتفهم عند تذكرها في معاني أسرارها ترى عجبا. وتستفد أدبا. وادع لكاتبها ومؤلفها أن ينفعهما الله بعوارفها ومعارفها. ونسأله أن ينور بصائرنا بنور توحيده ومعرفته. وأن يمد عقولنا بمواد توفيقه وهدايته. وأن يحرس عقائدنا بالتمسك بكتابه وسنته. فإنه المرشد للطريق. والهادي إلى طلب التحقيق. والموفق المعين. الساقي بكأس من معين. من عيون المعارف. وأنواع اللطائف. من شاء من العباد. ومن سماه بالمراد. بمنه وفضله وطوله. وهو حسبي ووليي. في شرح صدري وتنوير قلبي. والأمر لله. ولا قوة إلا بالله.

كملت رسالة القصد المجرد. في معرفة الاسم المفرد. أعني الله جل ذكره. وعز قدره. بشرح معاني أسراره. واختصاص فوائد أذكاره. وكيفية التعرض لإشراق أنواره. والحمد لله. والشكر له. على جميع نعمه أولاً وآخراً. والصلاة والسلام

على سـيـدنا مـحـمـد وعلى آله ظاهراً وباطنا. والرضى عن خلفائه وأصحابه وأزواجه وذريته والتابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. من جميع أمته. وأهل ملته.

عـربيـة للطباعة والنشر
7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين
تليفون : 3256098 - 3251043

الله

القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد

بعيدًا عن الخلط ، وفى محاولة لتعظيم وتعميق القيم الدينية لدى بعض الناس ونحن منهم ، رأت الدار أن تصدر مجموعة من الكتب الدينية تستكمل بها ما بدأته من دراسات فى الفكر الدينى ، وفى العقيدة، جمعت فيها بين أئمة المفكرين والمتصوفين أمثال ابن عربى وابن عطاء الله وبين المفكرين والمجتهدين المحدثين من الكتاب الإسلاميين، فى محاولة للأخذ بيد المواطن المسلم ، الذى يحب ويرغب فى أن يتزود برحيق العلم ويوظفه فى حياته اليومية ، فى تربية أولاده ، وفى علاقاته الطيبة مع النفس والأهل والجيران استرشادًا بمآثر رسول الله محمد ﷺ ، بعد القرآن الكريم ، مع إلقاء الضوء بالشرح والتفصيل كلما لزم ذلك سواء فى مجالات العبادة أو الفقه أو المناهج بشكل عام .

نفعنا الله جميعًا بصحيح العلم وصحيح الدين

Bibliotheca Alexandrina
03554332

مكتبة مدبولى

To: www.al-mostafa.com